۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ

﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ

أَمِينٞ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا

لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ

أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَآءَ

إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم

بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ

﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ

أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا

ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا

مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾

۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ

﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ

أَمِينٞ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا

لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾

ثم لما كان في هذا الكلام نوع تزكية لنفسها،

و أنه لم يجر منها ذنب في شأن يوسف،

استدركت فقالت: (وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓۚ)

أي: من المراودة و الهمِّ، و الحرص الشديد، و الكيد في ذلك.

(إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ)

أي: لكثيرة الأمر لصاحبها بالسوء،

أي: الفاحشة، و سائر الذنوب،

فإنها مركب الشيطان، و منها يدخل على الإنسان

(إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓۚ)

فنجاه من نفسه الأمارة، حتى صارت نفسه مطمئنة إلى ربها،

منقادة لداعي الهدى، متعاصية عن داعي الردى،

فذلك ليس من النفس، بل من فضل الله و رحمته بعبده.

(إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ)

أي: هو غفور لمن تجرأ على الذنوب و المعاصي، إذا تاب و أناب،

(رَّحِيمٌ)

بقبول توبته، و توفيقه للأعمال الصالحة.

و هذا هو الصواب أن هذا من قول امرأة العزيز، لا من قول يوسف، فإن السياق في كلامها، و يوسف إذ ذاك في السجن لم يحضر.

فلما تحقق الملك و الناس براءة يوسف التامة، أرسل إليه الملك

و قال: (وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ)

أي: أجعله خصيصة لي و مقربا لديَّ فأتوه به مكرما محترما،

(فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ)

أعجبه كلامه، و زاد موقعه عنده

فقال له: (قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا)

أي: عندنا

(مَكِينٌ)

أي: متمكن،

(أَمِينٞ)

على الأسرار،

فـــــ(قَالَ)

يوسف طلبا للمصلحة العامة: (ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ)

أي: على خزائن جبايات الأرض و غلالها، وكيلا حافظا مدبرا.

(إِنِّي حَفِيظٌ)

***قَالَ شَيْبَةُ بْنُ نَعَامَةَ: حَفِيظٌ لِمَا اسْتَوْدَعْتَنِي

أي: حفيظ للذي أتولاه، فلا يضيع منه شيء في غير محله،

و ضابط للداخل و الخارج،

(عَلِيمٌ)

***بِسِنِي الجَدْب.

عليم بكيفية التدبير و الإعطاء و المنع، و التصرف في جميع أنواع التصرفات،

و ليس ذلك حرصا من يوسف على الولاية

و إنما هو رغبة منه في النفع العام،

و قد عرف من نفسه من الكفاءة و الأمانة و الحفظ ما لم يكونوا يعرفونه.

فلذلك طلب من الملك أن يجعله على خزائن الأرض،

فجعله الملك على خزائن الأرض و ولاه إياها.

***مَدَحَ نَفْسَهُ، وَ يَجُوزُ لِلرَّجُلِ ذَلِكَ [إِذَا جُهِلَ أَمْرُهُ] لِلْحَاجَةِ.

قال تعالى: (وَكَذَٰلِكَ)

أي: بهذه الأسباب و المقدمات المذكورة،

(مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ)

في عيش رغد، و نعمة واسعة، و جاه عريض،

(نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ)

أي: هذا من رحمة الله بيوسف التي أصابه بها و قدرها له،

و ليست مقصورة على نعمة الدنيا.

(وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ)

و يوسف عليه السلام من سادات المحسنين،

فله في الدنيا حسنة و في الآخرة حسنة،

و لهذا قال: (وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ)

من أجر الدنيا

(لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ)

أي: لمن جمع بين التقوى و الإيمان،

فبالتقوى تترك الأمور المحرمة من كبائر الذنوب و صغائرها،

و بالإيمان التام يحصل تصديق القلب،

بما أمر الله بالتصديق به، و تتبعه أعمال القلوب و أعمال الجوارح،

من الواجبات و المستحبات.

*** يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّ مَا ادَّخَرَهُ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ يُوسُفَ عليه السلام فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ أَعْظَمُ وَ أَكْثَرُ وَ أَجَلُّ، مِمَّا خَوَّلَهُ مِنَ التَّصَرُّفِ وَ النُّفُوذِ فِي الدُّنْيَا

كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ سُلَيْمَانَ، ﷺ: {هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ} [ص: 39، 40] .

وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾

أي: لما تولى يوسف عليه السلام خزائن الأرض، دبرها أحسن تدبير،

فزرع في أرض مصر جميعها في السنين الخصبة، زروعا هائلة،

و اتخذ لها المحلات الكبار، و جبا من الأطعمة شيئا كثيرا و حفظه،

و ضبطه ضبطا تاما،

❍فلما دخلت السنون المجدبة، و سرى الجدب،

حتى وصل إلى فلسطين، التي يقيم فيها يعقوب و بنوه،

فأرسل يعقوب بنيه لأجل الميرة إلى مصر.

(وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ)

أي: لم يعرفوه.

(وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ)

أي: كال لهم كما كان يكيل لغيرهم،

و كان من تدبيره الحسن أنه لا يكيل لكل واحد أكثر من حمل بعير،

و كان قد سألهم عن حالهم، فأخبروه أن لهم أخا عند أبيه، و هو بنيامين.

فــــــ(قَالَ) لهم: (ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ)

ثم رغبهم في الإتيان به

فقال: (أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ)

في الضيافة و الإكرام.

ثم رهبهم بعدم الإتيان به،

فقال: (فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ)

و ذلك لعلمه باضطرارهم إلى الإتيان إليه،

و أن ذلك يحملهم على الإتيان به.

فــــــ(قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ)

دل هذا على أن يعقوب عليه السلام كان مولعا به لا يصبر عنه،

و كان يتسلى به بعد يوسف، فلذلك احتاج إلى مراودة في بعثه معهم

(وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ)

لما أمرتنا به.

(وَقَالَ) يوسف

(لِفِتْيَٰنِهِ) الذين في خدمته:

(ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ)

أي: الثمن الذي اشتروا به من المِيرَة.

(فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ)

أي: بضاعتهم إذا رأوها بعد ذلك في رحالهم،

(إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)

لأجل التحرج من أخذها على ما قيل،

و الظاهر أنه أراد أن يرغبهم في إحسانه إليهم بالكيل لهم كيلا وافيا،

ثم إعادة بضاعتهم إليهم على وجه لا يحسون بها،

و لا يشعرون لما يأتي، فإن الإحسان يوجب للإنسان تمام الوفاء للمحسن.

***الميسر:اجعلوا ثمن ما أخذوه في أمتعتهم سراً؛**

رجاء أن يعرفوه إذا رجعوا إلى أهلهم

و يقدِّروا إكرامنا لهم؛ ليرجعوا طمعاً في عطائنا.

(فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ)

أي: إن لم ترسل معنا أخانا،

(فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ)

أي: ليكون ذلك سببا لكيلنا، ثم التزموا له بحفظه،

فقالوا: (وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ)

من أن يعرض له ما يكره.

***الميسر:فلما رجعوا إلى أبيهم قصّوا عليه ما كان من إكرام العزيز لهم،**

و قالوا: إنه لن يعطينا مستقبَلا إلا إذا كان معنا أخونا الذي أخبرناه به،

فأرسلْه معنا نحضر الطعام وافياً، و نتعهد لك بحفظه.

قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٦٩﴾

(قَالَ) لهم يعقوب عليه السلام

(هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُ)

أي: تقدم منكم التزام، أكثر من هذا في حفظ يوسف،

و مع هذا لم تفوا بما عقدتم من التأكيد،

فلا أثق بالتزامكم و حفظكم، و إنما أثق بالله تعالى.

(فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ)

أي: يعلم حالي، و أرجو أن يرحمني، فيحفظه و يرده عليَّ،

و كأنه في هذا الكلام قد لان لإرساله معهم.

***هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ بِي، وَ سَيَرْحَمُ كِبَرِي وَ ضَعْفِي وَ وَجْدِي بِوَلَدِي،
وَ أَرْجُو مِنَ اللَّهِ أَنْ يَرُدَّهُ عَلَيَّ، وَ يَجْمَعَ شَمْلِي بِهِ، إِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

ثم إنهم (وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ)

هذا دليل على أنه قد كان معلوما عندهم أن يوسف قد ردها عليهم بالقصد،

و أنه أراد أن يملكهم إياها.

فـــــ(قَالُواْ)

لأبيهم – ترغيبا في إرسال أخيهم معهم – :

(يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ)

أي: أي شيء نطلب بعد هذا الإكرام الجميل،حيث وفَّى لنا الكيل،

(هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ)

و رد علينا بضاعتنا على الوجه الحسن،المتضمن للإخلاص و مكارم الأخلاق؟

(وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا)

أي: إذا ذهبنا بأخينا صار سببا لكيله لنا،

فمرنا أهلنا، و أتينا لهم، بما هم مضطرون إليه من القوت،

***الميسر:لنجلب طعامًا وفيرًا لأهلنا**

(وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ)

بإرساله معنا، فإنه يكيل لكل واحد حمل بعير،

(ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ)

***الميسر:عليه**

أي: سهل لا ينالك ضرر، لأن المدة لا تطول، و المصلحة قد تبينت.

فـــــــ(قَالَ) لهم يعقوب عليه السلام:

(لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ)

أي: عهدا ثقيلا و تحلفون بالله

(لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ)

أي: إلا أن يأتيكم أمر لا قبل لكم به، و لا تقدرون دفعه،

(فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ)

على ما قال و أراد

(قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ)

أي: تكفينا شهادته علينا و حفظه و كفالته

(وَقَالَ يَٰبَنِيَّ)

ثم لما أرسله معهم وصاهم، إذا هم قدموا مصر،

أن ﴿لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ﴾

و ذلك أنه خاف عليهم العين، لكثرتهم و بهاء منظرهم،

لكونهم أبناء رجل واحد، و هذا سبب

***كَانُوا ذَوِي جَمَالٍ وَ هَيْئَةٍ حَسَنَةٍ،

***فَإِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ، تَسْتَنْزِلُ الْفَارِسَ عَنْ فَرَسِهِ.( )

(وَ) إلا ﴿وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ﴾

فالمقدر لا بد أن يكون،

﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ﴾

أي: القضاء قضاؤه، و الأمر أمره، فما قضاه و حكم به لا بد أن يقع،

﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ﴾

أي: اعتمدت على الله، لا على ما وصيتكم به من السبب،

﴿وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾

فإن بالتوكل يحصل كل مطلوب، و يندفع كل مرهوب.

﴿وَلَمَّا﴾ ذهبوا

الجامع الصغير وزيادته 7593 - قال النبيﷺالْعَيْنُ تُدْخِلُ الرَّجُلَ الْقَبْرَ وَ تُدْخِلُ الجَمَلَ الْقِدْرَ (عد حل) عَنْ جَابر (عد) عَنْ أبي ذر.

و ﴿دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ﴾

ذلك الفعل

﴿يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ﴾

***الميسر:و إني إذ أوصيكم بهذا لا أدفع عنكم شيئًا قضاه الله عليكم**

و هو موجب الشفقة و المحبة للأولاد،

فحصل له في ذلك نوع طمأنينة، و قضاء لما في خاطره.

و ليس هذا قصورا في علمه، فإنه من الرسل الكرام و العلماء الربانيين،

و لهذا قال عنه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ﴾

أي: لصاحب علم عظيم

﴿لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ﴾

أي: لتعليمنا إياه، لا بحوله و قوته أدركه، بل بفضل الله و تعليمه،

﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾

عواقب الأمور و دقائق الأشياء

و كذلك أهل العلم منهم،

يخفى عليهم من العلم و أحكامه و لوازمه شيء كثير.

وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٦٩

(وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ)

أي: لما دخل إخوة يوسف على يوسف

(ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ)

أي: شقيقه و هو « بنيامين » الذي أمرهم بالإتيان به، و ضمه إليه،

و اختصه من بين إخوته، و أخبره بحقيقة الحال،

و (قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ)

أي: لا تحزن

(بِمَا كَانُوا۟ يَعۡمَلُونَ)

فإن العاقبة خير لنا، ثم خبره بما يريد أن يصنع و يتحيل لبقائه عنده إلى أن ينتهي الأمر.

فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحۡلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم مَّاذَا تَفۡقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ﴿٧٢﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ﴿٧٦﴾

۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٧٨﴾

(فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ)

أي: كال لكل واحد من إخوته، و من جملتهم أخوه هذا.

(جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ)

و هو: الإناء الذي يشرب به، و يكال فيه

(فِي رَحۡلِ أَخِيهِ ثُمَّ)

أوعوا متاعهم، فلما انطلقوا ذاهبين،

(أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ)

و لعل هذا المؤذن، لم يعلم بحقيقة الحال.

(قَالُواْ)

أي: إخوة يوسف

(وَأَقۡبَلُواْ عَلَيۡهِم)

لإبعاد التهمة،

فإن السارق ليس له همٌّ إلا البعد و الانطلاق عمن سرق منه، لتسلم له سرقته،

و هؤلاء جاءوا مقبلين إليهم، ليس لهم همٌّ إلا إزالة التهمة التي رموا بها عنهم،

فقالوا في هذه الحال:

(مَّاذَا تَفۡقِدُونَ)

و لم يقولوا: « ما الذي سرقنا » لجزمهم بأنهم براء من السرقة.

(قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ)

***صَاعَهُ الَّذِي يَكِيلُ بِهِ

(وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ)

أي: أجرة له على وجدانه

(وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ)

أي: كفيل، و هذا يقوله المؤذن المتفقد.

(قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ)

بجميع أنواع المعاصي،

(وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ)

فإن السرقة من أكبر أنواع الفساد في الأرض،

و إنما أقسموا على علمهم أنهم ليسوا مفسدين و لا سارقين،

لأنهم عرفوا أنهم سبروا من أحوالهم ما يدلهم على عفتهم و ورعهم،

و أن هذا الأمر لا يقع منهم بعلم من اتهموهم،

و هذا أبلغ في نفي التهمة، من أن لو قالوا:

« تالله لم نفسد في الأرض ولم نسرق »

(قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ)

أي: جزاء هذا الفعل

(إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ)

بأن كان معكم؟

(قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ)

أي: الموجود في رحله

(جَزَٰٓؤُهُۥۚ)

بأن يتملكه صاحب السرقة،

و كان هذا في دينهم أن السارق إذا ثبتت عليه السرقة كان ملكا لصاحب المال المسروق،

و لهذا قالوا: (كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ)

(فَبَدَأَ) المفتش

(بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ)

و ذلك لتزول الريبة التي يظن أنها فعلت بالقصد،

فلما لم يجد في أوعيتهم شيئا

(ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ)

و لم يقل « وجدها، أو سرقها أخوه » مراعاة للحقيقة الواقعة.

فحينئذ تم ليوسف ما أراد من بقاء أخيه عنده، على وجه لا يشعر به إخوته،

قال تعالى: (كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ)

أي: يسرنا له هذا الكيد، الذي توصل به إلى أمر غير مذموم

***وَ هَذَا مِنَ الْكَيْدِ الْمَحْبُوبِ الْمُرَادِ الَّذِي يُحِبُّهُ اللَّهُ وَ يَرْضَاهُ، لِمَا فِيهِ مِنَ الْحِكْمَةِ وَ الْمَصْلَحَةِ الْمَطْلُوبَةِ.

(مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ ﴿٧٥﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ)

لأنه ليس من دينه أن يتملك السارق،

و إنما له عندهم، جزاء آخر،

فلو ردت الحكومة إلى دين الملك، لم يتمكن يوسف من إبقاء أخيه عنده،

و لكنه جعل الحكم منهم، ليتم له ما أراد.

قال تعالى: (نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ)

بالعلم النافع،و معرفة الطرق الموصلة إلى مقصدها،كما رفعنا درجات يوسف،

***كَمَا قَالَ تَعَالَى: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [الْمُجَادَلَةِ: 11]

(وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ)

فكل عالم، فوقه من هو أعلم منه حتى ينتهي العلم إلى عالم الغيب و الشهادة.

فلما رأى إخوة يوسف ما رأوا (قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ)

هذا الأخ،فليس هذا غريبا منه.

(فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ)

يعنون: يوسف عليه السلام

و مقصودهم تبرئة أنفسهم

و أن هذا و أخاه قد يصدر منهما ما يصدر من السرقة،

و هما ليسا شقيقين لنا.

و في هذا من الغض عليهما ما فيه،

(فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ)

و لهذا: أسرها يوسف في نفسه

(وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْۚ)

أي: لم يقابلهم على ما قالوه بما يكرهون،

بل كظم الغيظ، و أسرَّ الأمر في نفسه.

و (قَالَ)

في نفسه

(أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًاۖ)

حيث ذممتمونا بما أنتم على أشر منه،

(وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ)

منا، من وصفنا بالسرقة، يعلم الله أنا براء منها،

ثم سلكوا معه مسلك التملق، لعله يسمح لهم بأخيهم.

ف (قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا)

أي: و إنه لا يصبر عنه، و سيشق عليه فراقه،

(فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ)

فأحسن إلينا و إلى أبينا بذلك.

قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴿٨٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾

قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾

فـــــــ(قَالَ) يوسف

(مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ)

أي: هذا ظلم منا، لو أخذنا البريء بذنب من وجدنا متاعنا عنده،

و لم يقل « من سرق » كل هذا تحرز من الكذب،

(إِنَّآ إِذٗا) أي: إن أخذنا غير من وجد في رحله

(لَّظَٰلِمُونَ) حيث وضعنا العقوبة في غير موضعها.

فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨٣﴾

(فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ)

أي: فلما استيأس إخوة يوسف من يوسف أن يسمح لهم بأخيهم

(خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ)

أي: اجتمعوا وحدهم، ليس معهم غيرهم، و جعلوا يتناجون فيما بينهم،

فــــ(قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ)

في حفظه، و أنكم تأتون به إلا أن يحاط بكم

(وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ)

فاجتمع عليكم الأمــــــــران:-

1-تفــــــــريطكم في يوسف السابق،

2-و عــــــــدم إتيانكم بأخيه باللاحق، فليس لي وجه أواجه به أبي.

(فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ)

أي: سأقيم في هذه الأرض و لا أزال بها

(حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ)

***الميسر:حتى يأذن لي أبي في مفارقتها،**

(أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى)

أو يقضي لي ربي بالخروج منها، و أتمكن مِن أَخْذِ أخي،

○ أي: يقدر لي المجيء وحدي، أو مع أخي

(وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ)

***الميسر:و الله خيرُ مَن حَكَمَ، و أعدل مَن فَصَلَ بين الناس.**

○ثم وصَّاهم بما يقولون لأبيهم،

فقال: (ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ)

أي: و أخذ بسرقته، و لم يحصل لنا أن نأتيك به،

مع ما بذلنا من الجهد في ذلك.

(وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا)

و الحال أنا ما شهدنا بشيء لم نعلمه، و إنما شهدنا بما علمنا،

لأننا رأينا الصواع استخرج من رحله،

(وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ)

أي: لو كنا نعلم الغيب لما حرصنا و بذلنا المجهود في ذهابه معنا،

و لما أعطيناك عهودنا و مواثيقنا، فلم نظن أن الأمر سيبلغ ما بلغ.

(وَسۡـَٔلِ)

إن شككت في قولنا

(ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ)

فقد اطلعوا على ما أخبرناك به

(وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ)

لم نكذب و لم نغير و لم نبدل، بل هذا الواقع.

فلما رجعوا إلى أبيهم و أخبروه بهذا الخبر، اشتد حزنه و تضاعف كمده،

و اتهمهم أيضا في هذه القضية، كما اتهمهم في الأولى،

و (قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ)

***الميسر:قال لهم: بل زَيَّنَت لكم أنفسكم الأمّارة بالسوء مكيدة دبّرتموها كما فعلتم مِن قبل مع يوسف،**

(فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ)

أي: ألجأ في ذلك إلى الصبر الجميل، الـــــذي:-

لا يصحبه تسخط و لا جزع، و لا شكوى للخلق،

ثم لجأ إلى حصول الفرج لما رأى أن الأمر اشتد، و الكربة انتهت

فقال: (عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ)

أي: يوسف و « بنيامين » و أخوهم الكبير الذي أقام في مصر.

(إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ)

الذي يعلم حالي، و احتياجي إلى تفريجه و منَّته، و اضطراري إلى إحسانه،

(ٱلۡحَكِيمُ)

الذي جعل لكل شيء قدرا، و لكل أمر منتهى، بحسب ما اقتضته حكمته الربانية.

وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴿٨٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ

وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾

(وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ)

أي: و تولى يعقوب ﷺعن أولاده بعد ما أخبروه هذا الخبر،

***الميسر:و أعرض يعقوب عنهم**

(وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ)

و اشتد به الأسف و الأسى،

أي: ظهر منه ما كمن من الهم القديم و الشوق المقيم،

و ذكرته هذه المصيبة الخفيفة بالنسبة للأولى، المصيبة الأولى.

(وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ)

الذي في قلبه،و الكمد الذي أوجب له كثرة البكاء،

حيث ابيضت عيناه من ذلك.

(فَهُوَ كَظِيمٌ)

أي: ممتلئ القلب من الحزن الشديد،

***الميسر:و لكنه شديد الكتمان له.**

***لا يشكو أمره الي مخلوق

(قَالُواْ)فقال له أولاده متعجبين من حاله: (تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ)

أي: لا تزال تذكر يوسف في جميع أحوالك.

(حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا)

أي: فانيا لا حراك فيك و لا قدرة على الكلام.

(أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ)

أي: لا تترك ذكره مع قدرتك على ذكره أبدا.

(قَالَ) يعقوب عليه السلام

(إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي)

أي: ما أبث من الكلام

***همي

(وَحُزۡنِيٓ)

الذي في قلبي

(إِلَى ٱللَّهِ)

وحده، لا إليكم و لا إلى غيركم من الخلق، فقولوا ما شئتم

(وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ)

❍من أنه سيردهم علي و يقر عيني بالاجتماع بهم.

***الميسر:و أعلم من رحمة الله و فرجه ما لا تعلمونه.**

يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا

يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ

مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ

يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ

جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ

مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ

﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾

قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾

ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ

أَجۡمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ

لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٩٥﴾

يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا

يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ

مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ٨٨﴾

أي: قال يعقوب عليه السلام لبنيه:

(يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ)

أي: احرصوا و اجتهدوا على التفتيش عنهما

***وَ التَّحَسُّسُ يَكُونُ فِي الْخَيْرِ، وَ التَّجَسُّسُ يُسْتَعْمَلُ فِي الشَّرِّ.

(وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ)

***الميسر:و لا تقطعوا رجاءكم من رحمة الله،**

فإن الرجـــــاء:- يوجب للعبد السعي و الاجتهاد فيما رجاه،

و الإيـــــاس:- يوجب له التثاقل و التباطؤ،

و أولى ما رجا العباد، فضل الله و إحسانه و رحمته و روحه،

(إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ)

***الميسر:إنه لا يقطع الرجاء من رحمة الله إلا الجاحدون لقدرته، الكافرون به.**

○فإنهم لكفرهم يستبعدون رحمته، و رحمته بعيدة منهم،

فلا تتشبهوا بالكافرين.

و دل هذا على أنه بحسب إيمان العبد يكون رجاؤه لرحمة الله و روحه،

فذهبوا (فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ)

أي: على يوسف

(قَالُواْ) متضرعين إليه:

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ)

أي: قد اضطررنا نحن و أهلنا

(وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ)

أي: مدفوعة مرغوب عنها لقلتها، و عدم وقوعها الموقع،

***وَ مَعَنَا ثَمَنُ الطَّعَامِ الَّذِي نَمْتَارُهُ، وَ هُوَ ثَمَنٌ قَلِيلٌ.

(فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ)

أي: مع عدم وفاء العرض، و تصدق علينا بالزيادة عن الواجب.

*** أَعْطِنَا بِهَذَا الثَّمَنِ الْقَلِيلِ مَا كُنْتَ تُعْطِينَا قَبْلَ ذَلِكَ.

(وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ)

***قيل:بردِّ أَخِينَا إِلَيْنَا.

***قيل: تَصَدَّقْ عَلَيْنَا بِقَبْضِ هَذِهِ الْبِضَاعَةِ الْمُزْجَاةِ، وَ تَجَوَّزْ فِيهَا.

(إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ)

بثواب الدنيا و الآخرة.

فلما انتهى الأمر، و بلغ أشده،

رقَّ لهم يوسف رقَّة شديدة، و عرَّفهم بنفسه، و عاتبهم.

قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾

(قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ)

أما يوسف فظاهر فعلهم فيه،

و أما أخوه، فلعله و الله أعلم قولهم:

(إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ)

أو أن الحادث الذي فرَّق بينه و بين أبيه، هم السبب فيه،

و الأصل الموجب له.

(إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ)

و هذا نوع اعتذار لهم بجهلهم، أو توبيخ لهم إذ فعلوا فعل الجاهلين،

مع أنه لا ينبغي و لا يليق منهم.

*** إِنَّمَا حَمَلَكُمْ عَلَى هَذَا [الْجَهْلُ] بِمِقْدَارِ هَذَا الَّذِي ارْتَكَبْتُمُوهُ،

كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: كُلُّ مَنْ عَصَى اللَّهَ فَهُوَ جَاهِلٌ،

وَ قَرَأَ: {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ} إِلَى قَوْلِهِ:

{إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} [النَّحْلِ: 119] .

***وَ الظَّاهِرُ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ -أَنَّ يُوسُفَ عليه السلام إِنَّمَا تَعَرَّفَ إِلَيْهِمْ بِنَفْسِهِ، بِإِذْنِ اللَّهِ لَهُ فِي ذَلِكَ،

كَمَا أَنَّهُ إِنَّمَا أَخْفَى مِنْهُمْ نَفْسَهُ فِي الْمَرَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ فِي ذَلِكَ، وَ اللَّهُ أَعْلَمُ،

وَ لَكِنْ لَمَّا ضَاقَ الْحَالُ وَ اشْتَدَّ الْأَمْرُ، فَرَّجَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ الضِّيقِ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا *إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} [الشَّرْحِ: 5، 6]

فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالُوا: {أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ} ؟

فعرفوا أن الذي خاطبهم هو يوسف، فقالـــــــوا:

(قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ)

*** إِنَّهُمْ تَعجَّبوا مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُمْ يَتَرَدَّدُونَ إِلَيْهِ مِنْ سَنَتَيْنِ وَ أَكْثَرَ،
وَ هُمْ لَا يَعْرِفُونَهُ، وَ هُوَ مَعَ هَذَا يَعْرِفُهُمْ وَ يَكْتُمُ نَفْسَهُ،
فَلِهَذَا قَالُوا عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِفْهَامِ:

{أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى}

(قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ)

***بِجَمْعِهِ بَيْنَنَا بَعْدَ التَّفْرِقَةِ وَ بَعْدَ الْمُدَّةِ،

بالإيمان و التقوى و التمكين في الدنيا،

و ذلك بسبب الصبر و التقوى،

(إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ)

أي: يتقي فعل ما حرم الله، و يصبر على الآلام و المصائب،

و على الأوامر بامتثالها

(فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ)

فإن هذا من الإحسان، و الله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

(قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا)

أي: فضلك علينا بــــــ:-

1-مكارم الأخلاق و محاسن الشيم،

و أسأنا إليك غاية الإساءة،

و حرصنا على إيصال الأذى إليك،

و التبعيد لك عن أبيك،

فآثرك الله تعالى و مكنك مما تريد

2-الْفَضْلِ وَ الْأَثْرَةِ عَلَيْهِمْ فِي الْخَلْقِ وَ الْخُلُقِ،
3-وَ السَّعَةِ وَ الْمُلْكِ، وَ التَّصَرُّفِ
4-وَ النُّبُوَّةِ أَيْضًا -عَلَى قَوْلِ مَنْ لَمْ يَجْعَلْهُمْ أَنْبِيَاءَ -
وَ أَقَرُّوا لَهُ بِأَنَّهُمْ أَسَاءُوا إِلَيْهِ وَ أَخْطَئُوا فِي حَقِّهِ.

(وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ)

و هذا غاية الاعتراف منهم بالجُرْمِ الحاصل منهم على يوسف.

فــــــ(قَالَ) لهم يوسف عليه السلام كرما و جودا:

(لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ)

أي: لا أثرب عليكم و لا ألومكم

(يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ)

فسمح لهم سماحا تاما، من غير تعيير لهم على ذكر الذنب السابق،

و دعا لهم بالمغفرة و الرحمة،

و هذا نهاية الإحسان، الذي لا يتأتى إلا من خواص الخلق و خيار المصطفين.

ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٩٥﴾

أي: قال يوسف عليه السلام لإخوته:

(ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا)

لأن كل داء يداوى بضده، فهذا القميص – لما كان فيه أثر ريح يوسف،

الذي أودع قلب أبيه من الحزن و الشوق ما الله به عليم –

أراد أن يشمه، فترجع إليه روحه، و تتراجع إليه نفسه، و يرجع إليه بصره،

و لله في ذلك حكم و أسرار، لا يطلع عليها العباد،

و قد اطلع يوسف من ذلك على هذا الأمر.

(وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ)

أي: أولادكم و عشيرتكم و توابعكم كلهم، ليحصل تمام اللقاء،

و يزول عنكم نكد المعيشة، و ضنك الرزق.

(وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ)

***خرجت من مصر

عن أرض مصر مقبلة إلى أرض فلسطين، شمَّ يعقوب ريح القميص،

فـــــ(قَالَ أَبُوهُمۡ)

***يعقوب عليه السلام لمن بقي عنده من بنيه

(إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ)

***تسفهون

أي: تسخرون مني، و تزعمون أن هذا الكلام، صدر مني من غير شعور،

لأنه رأى منهم من التعجب من حاله ما أوجب له هذا القول.

فوقع ما ظنه بهم فـــــ(قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ)

***لفي خطئك القديم

❍أي: لا تزال تائها في بحر الحبّ لا تدري ما تقول.

***قَالُوا لِوَالِدِهِمْ كَلِمَةً غَلِيظَةً، لَمْ يَكُنْ يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَقُولُوهَا لِوَالِدِهِمْ،
وَ لَا لِنَبِيِّ اللَّهِ ﷺ

فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ
أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ
﴿٩٧﴾ قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا
دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ
﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن
قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ
مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ
فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي
بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ
أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ
أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ
﴿٩٧﴾ قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾

(فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ)

***الميسر:فلما أن جاء من يُبشِّر يعقوب بأن يوسف حيّ**

○بقرب الاجتماع بيوسف و إخوته و أبيهم،

(أَلۡقَىٰهُ) أي: القميص

(عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ)

أي: رجع على حاله الأولى بصيرا، بعد أن ابيضت عيناه من الحزن،

فقال لمن حضره من أولاده و أهله الذين كانوا يفندون رأيه، و يتعجبون منه

منتصرا عليهم، متبجحا بنعمة الله عليه:

(قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ)

حيث كنت مترجيا للقاء يوسف، مترقبا لزوال الهم و الغم و الحزن.

فأقروا بذنبهم و نجعوا بذلك

و (قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ)

حيث فعلنا معك ما فعلنا.

فــــــــ(قَالَ) **مجيبا لطلبتهم، و مسرعا لإجابتهم:**

(سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ)

أي: و رجائي به أن يغفر لكم و يرحمكم، و يتغمدكم برحمته،

و قد قيل: إنه أخر الاستغفار لهم إلى وقت السحر الفاضل،

ليكون أتمَّ للاستغفار، و أقرب للإجابة.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾

أي: (فَلَمَّا)

تجهز يعقوب و أولاده و أهلهم أجمعون،

و ارتحلوا من بلادهم قاصدين الوصول إلى يوسف في مصر و سكناها،

فلما وصلوا إليه،

و (دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ)

أي: ضمهما إليه، و اختصهما بقربه،

و أبدى لهما من البر و الإكرام و التبجيل و الإعظام شيئا عظيما،

(وَقَالَ)لجميع أهله:

(ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ)

من جميع المكاره و المخاوف، فدخلوا في هذه الحال السارة،

و زال عنهم النصب و نكد المعيشة، و حصل السرور و البهجة.

(وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ)

أي: على سرير الملك، و مجلس العزيز،

(وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ)

أي: أبوه، و أمه و إخوته، سجودا على وجه التعظيم و التبجيل و الإكرام،

***وَ قَدْ كَانَ هَذَا سَائِغًا فِي شَرَائِعِهِمْ إِذَا سلَّموا عَلَى الْكَبِيرِ يَسْجُدُونَ لَهُ،

وَ لَمْ يَزَلْ هَذَا جَائِزًا مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى شَرِيعَةِ عِيسَى عليه السلام

فَحُرِّمَ هَذَا فِي هَذِهِ الْمِلَّةِ،

و جُعل السُّجُودُ مُخْتَصًّا بِجَنَابِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى.

***سنن الترمذي

1159 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ المَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا»

***وَ الْغَرَضُ أَنَّ هَذَا كَانَ جَائِزًا فِي شَرِيعَتِهِمْ؛ وَ لِهَذَا خَرُّوا لَهُ سُجَّدًا،

(وَقَالَ) لما رأى هذه الحال،

و رأى سجودهم له: (يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ)

حين رأي أحد عشر كوكبا و الشمس و القمر له ساجدين،

فهذا وقوعها الذي آلت إليه و وصلت

***أَيْ: هَذَا مَا آلَ إِلَيْهِ الْأَمْرُ، فَإِنَّ التَّأْوِيلَ يُطْلَقُ عَلَى مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ الْأَمْرُ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ} [الْأَعْرَافِ: 53]

أَيْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَأْتِيهِمْ مَا وُعِدُوا مِنْ خَيْرٍ وَ شَرٍّ.

(قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗا)

***صَحِيحَةً صِدْقا، يَذْكُرُ نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْهِ

فلم يجعلها أضغاث أحلام.

(وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ)

إحسانا جسيما

(إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ)

*** من البادية

و هذا من لطفه و حسن خطابه عليه السلام،

حيث ذكر حاله في السجن،

و لم يذكر حاله في الجب، لتمام عفوه عن إخوته،

و أنه لا يذكر ذلك الذنب،

و أن إتيانكم من البادية من إحسان الله إليَّ.

فلم يقل: جاء بكم من الجوع و النصب،

و لا قال: « أحسن بكم »

بل قال (وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ)

جعل الإحسان عائدا إليه، فتبارك من يختص برحمته من يشاء من عباده،

و يهب لهم من لدنه رحمة إنه هو الوهاب.

(مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ)

فلم يقل « نزغ الشيطان إخوتي »

بل كأن الذنب و الجهل، صدر من الطرفين،

فالحمد لله الذي أخزى الشيطان و دحره، و جمعنا بعد تلك الفرقة الشاقة.

(إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ)

يوصل بره و إحسانه إلى العبد من حيث لا يشعر،

و يوصله إلى المنازل الرفيعة من أمور يكرهها،

(إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ)

الذي يعلم ظواهر الأمور و بواطنها، و سرائر العباد و ضمائرهم،

(ٱلۡحَكِيمُ)

في وضعه الأشياء مواضعها، و سوقه الأمور إلى أوقاتها المقدرة لها.

۞ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١

لما أتم الله ليوسف ما أتم من التمكين في الأرض و الملك،

و أقر عينه بأبويه و إخوته،

و بعد العلم العظيم الذي أعطاه الله إياه،

قال مقرا بنعمة الله شاكرا لها داعيا بالثبات على الإسلام:

(رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ)

و ذلك أنه كان على خزائن الأرض و تدبيرها و وزيرا كبيرا للملك

(وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ)

أي: من تأويل أحاديث الكتب المنزلة و تأويل الرؤيا و غير ذلك من العلم

(فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا)

أي: أَدِمْ عليّ الإسلام و ثبتني عليه حتى توفاني عليه،

و لم يكن هذا دعاء باستعجال الموت،

(وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ)

من الأنبياء الأبرار و الأصفياء الأخيار.

ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ ﴿١٠٢﴾

لما قص الله هذه القصة على محمد ﷺ

قال الله له: (ذَٰلِكَ)

الإنباء الذي أخبرناك به

(مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ)

***للعبرة و الاتعاظ لمن خالفك

الذي لولا إيحاؤنا إليك لما وصل إليك هذا الخبر الجليل،

(وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ)

فإنك لم تكن حاضرا لديهم

(إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ)

أي: إخوة يوسف.

***علي إلقائه في الجب

(وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ)

به حين تعاقدوا على التفريق بينه و بين أبيه،

في حالة لا يطلع عليها إلا الله تعالى،

و لا يمكن أحدا أن يصل إلى علمها، إلا بتعليم الله له إياها.

كما قال تعالى لما قص قصة موسى و ما جرى له،

ذكر الحال التي لا سبيل للخلق إلى علمها إلا بوحيه

وَ قَالَ تَعَالَى: {وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ} [الْقَصَصِ: 44]

❍فهذا أدل دليل على أن ما جاء به رسول الله حقا.

***وَ لَكِنَّا أَعْلَمْنَاكَ بِهِ وَحْيًّا إِلَيْكَ، وَ إِنْزَالًا عَلَيْكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ

وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ} [آلِ عِمْرَانَ: 44]

إِلَى أَنْ قَالَ: {وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ} [الْقَصَصِ: 46]

وَ قَالَ{وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ} [الْقَصَصِ: 45]

وَقَالَ {مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الأعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ} [ص: 69، 70]

وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ:

(وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ)

على إيمانهم

(بِمُؤۡمِنِينَ)

فإن مداركهم و مقاصدهم قد أصبحت فاسدة،

فلا ينفعهم حرص الناصحين عليهم و لو عدمت الموانع،

بأن كانوا يعلمونهم و يدعونهم إلى ما فيه الخير لهم،

و دفع الشر عنهم، من غير أجر و لا عوض،

و لو أقاموا لهم من الشواهد و الآيات الدالات على صدقهم ما أقاموا.

***وَ قَالَ {وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [الْأَنْعَامِ: 116] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

و لهذا قال:—

وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ﴿١٠٥﴾

وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ

عَذَابِ ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ

إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ

أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي

ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ

لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ

كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١١٠﴾

لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ

وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ

كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١١١﴾

وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾

وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾

وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾

أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ

أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾

(وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ)

يتذكرون به ما ينفعهم ليفعلوه، و ما يضرهم ليتركوه.

(وَكَأَيِّن)

أي: و كم

(مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا)

دالة لهم على توحيد الله

(وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ) .

و مع هذا إن وجد منهم بعض الإيمان

(وَمَا) فلا

(يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ)

فهم و إن أقروا بربوبية الله تعالى،

و أنه الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور،

فإنهم يشركون في ألوهية الله و توحيده،

فهؤلاء الذين وصلوا إلى هذه الحال لم يبق عليهم إلا أن يحل بهم العذاب،

و يفجأهم العقاب وهم آمنون،

*****قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:-**
مِنْ إِيمَانِهِمْ، إِذَا قِيلَ لَهُمْ:
مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ؟
وَ مَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟
وَ مَنْ خَلَقَ الْجِبَالِ؟
قَالُوا: "اللَّهُ"، وَ هُمْ مُشْرِكُونَ بِهِ.
*****صحيح مسلم**
(1185) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا،
قَالَ: كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَقُولُونَ: لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ،
قَالَ: فَيَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
«وَيْلَكُمْ، قَدْ قَدْ»
فَيَقُولُونَ: إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَ مَا مَلَكَ،
يَقُولُونَ هَذَا وَ هُمْ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ( )
*****وَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لُقْمَانَ: 13]**
وَ هَذَا هُوَ الشِّرْكُ الْأَعْظَمُ الَّذِي يَعْبُدُ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ،
كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ. عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ
قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟

(قد قد) كفاكم هذا الكلام فاقتصروا عليه ولا تزيدوا]

قَالَ: "أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَ هُوَ خَلَقَك".
***وَ قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ فِي قَوْلِهِ:
{وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلا وَهُمْ مُشْرِكُونَ}
قَالَ: ذَلِكَ الْمُنَافِقُ يَعْمَلُ إِذَا عَمِلَ رِيَاءَ النَّاسِ، وَ هُوَ مُشْرِكٌ بِعَمَلِهِ ذَاكَ، يَعْنِي قَوْلَهُ تَعَالَى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلا قَلِيلا} [النِّسَاءِ: 142]
***صحيح مسلم
(2985)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ،
مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَ شِرْكَهُ"
***مسند أحمد ط الرسالة
23630 عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ
قَالَ: " إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ
" قَالُوا: وَ مَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟
قَالَ: " الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:-
إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ:
اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا
فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً

و لهذا قال: ﴿أَفَأَمِنُوٓاْ﴾

أي: الفاعلون لتلك الأفعال، المعرضون عن آيات الله

﴿أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ﴾

أي: عذاب يغشاهم و يعمهم و يستأصلهم،

(أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً)

أي: فجأة

(وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ)

أي: فإنهم قد استوجبوا لذلك،

فليتوبوا إلى الله، و يتركوا ما يكون سببا في عقابهم.

***كَمَا قَالَ تَعَالَى: {أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ}

[النَّحْلِ: 45 -47]

وَ قَالَ تَعَالَى:

{أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} [الأَعْرَافِ: 97 -99] .

قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ

﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠٩﴾

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ:

(قُلۡ)

للناس (هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ)

أي: طريقي التي أدعو إليها،

و هي السبيل الموصلة إلى الله و إلى دار كرامته،

المتضمنة للعلم بالحق والعمل به و إيثاره،

و إخلاص الدين لله وحده لا شريك له،

(أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ)

أي: أحثُّ الخلق و العباد إلى الوصول إلى ربهم،

و أرغِّبهم في ذلك و أرهِّبهم مما يبعدهم عنه.

و مع هذا فأنا (عَلَىٰ بَصِيرَةٍ)

من ديني، أي: على علم و يقين من غير شك و لا امتراء و لا مرية

(أَنَا۠).

(وَ) كذلك

(وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ)

يدعو إلى الله كما أدعو على بصيرة من أمره.

(وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ)

عما نسب إليه مما لا يليق بجلاله، أو ينافي كماله.

***وَ أُنَزِّهُ اللَّهَ وَ أُجِلُّهُ وَ أُعَظِّمُهُ وَ أُقَدِّسُهُ، عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ أَوْ نَظِيرٌ، أَوْ عَدِيلٌ أَوْ نَدِيدٌ، أَوْ وَلَدٌ أَوْ وَالِدٌ أَوْ صَاحِبَةٌ، أَوْ وَزِيرٌ أَوْ مُشِيرٌ، تَبَارَكَ وَ تَعَالَى وَ تَقَدَّسَ وَ تَنَزَّهَ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ عُلُوًّا كَبِيراً،

{تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} [الْإِسْرَاءِ: 44]

(وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ)

في جميع أموري، بل أعبد الله مخلصا له الدين.

ثم قال تعالى (وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا)

أي: لم نرسل ملائكة و لا غيرهم من أصناف الخلق،

فلأي شيء يستغرب قومك رسالتك،

و يزعمون أنه ليس لك عليهم فضل،

فلك فيمن قبلك من المرسلين أسوة حسنة

***يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّهُ إِنَّمَا أرسلَ رسُلَه مِنَ الرِّجَالِ لَا مِنَ النِّسَاءِ.
وَ هَذَا قَوْلُ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ سِيَاقُ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ:-
أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُوحِ إِلَى امْرَأَةٍ مِنْ بَنَاتِ بَنِي آدَمَ وَحي تَشْرِيعٍ.
***أَنَّهُ لَيْسَ فِي النِّسَاءِ نَبِيَّةٌ

وَ إِنَّمَا فِيهِنَّ صِدِّيقَاتٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ أَشْرَفِهِنَّ مريمَ بِنْتِ عِمْرَانَ حَيْثُ قَالَ:{مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ} [الْمَائِدَةِ: 75]

فَوَصَفَهَا فِي أَشْرَفِ مَقَامَاتِهَا بِالصِّدِّيقِيَةِ،

فَلَوْ كَانَتْ نَبِيَّةً لَذَكَرَ ذَلِكَ فِي مَقَامِ التَّشْرِيفِ وَ الْإِعْظَامِ،

فَهِيَ صِدِّيقَةٌ بِنَصِّ الْقُرْآنِ.

(نُّوحِىٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ)

أي: لا من البادية، بل من أهل القرى الذين هم أكمل عقولا و أصح آراء،

و ليتبين أمرهم و يتضح شأنهم.

***لَا أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْبَوَادِي، الَّذِينَ هُمْ أَجْفَى النَّاسِ طِبَاعًا وَ أَخْلَاقًا.

وَ هَذَا هُوَ الْمَعْهُودُ الْمَعْرُوفُ أَنَّ أَهْلَ الْمُدُنِ أَرَقُّ طِبَاعًا،

وَ أَلْطَفُ مِنْ أَهْلِ سَوَادِهِمْ،

وَ أَهْلُ الرِّيفِ وَ السَّوَادِ أَقْرَبُ حَالًا مِنَ الَّذِينَ يَسْكُنُونَ فِي الْبَوَادِي؛

وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {الأعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ} [التَّوْبَةِ: 97]

***مسند أحمد ط الرسالة

7363 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ الدَّوْسِيِّ، قَالَ: فَأَهْدَى لَهُ نَاقَةً، يَعْنِي قَوْلَهُ،

قَالَ: " لَا أَتَّهِبُ إِلَّا مِنْ قُرَشِيٍّ، أَوْ دَوْسِيٍّ، أَوْ ثَقَفِيٍّ "

(أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ)

إذا لم يصدقوا لقولك،

(فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ)

كيف أهلكهم الله بتكذيبهم،

فاحذروا أن تقيموا على ما أقاموا عليه، فيصيبكم ما أصابهم،

(وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ)

أي: الجنة و ما فيها من النعيم المقيم،

(خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْۗ)

الله في امتثال أوامره، و اجتناب نواهيه،

فإن نعيم الدنيا منغص منكد، منقطع، و نعيم الآخرة تام كامل، لا يفنى أبدا،

بل هو على الدوام في تزايد و تواصل،

(عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ)

(أَفَلَا تَعۡقِلُونَ)

أي: أفلا تكون لكم عقول تؤثر الذي هو خير على الأدنى.

***وَ كَمَا أَنْجَيْنَا الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا،

كَذَلِكَ كَتَبْنَا لَهُمُ النَّجَاةَ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ أَيْضًا،

وَ هِيَ خَيْرٌ لَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بِكَثِيرٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأشْهَادُ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} [غَافِرٍ: 50، 51] .

حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١١١﴾

(حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ)

***الميسر:إذا يئس الرسل من قومهم**

(وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ)

***الميسر:و أيقنوا أن قومهم قد كذبوهم و لا أمل في إيمانهم،**

يخبر تعالى: أنه يرسل الرسل الكرام،

فيكذبهم القوم المجرمون اللئام،

و أن الله تعالى يمهلهم ليرجعوا إلى الحق،

و لا يزال الله يمهلهم حتى إنه تصل الحال إلى غاية الشدة منهم على الرسل.

❍حتى إن الرسل – على كمال يقينهم، و شدة تصديقهم بوعد الله و وعيده

–ربما:–

أنه يخطر بقلوبهم نوع من الإياس،و نوع من ضعف العلم و التصديق،

***كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:{وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ} [الْبَقَرَةِ: 214]

فإذا بلغ الأمر هذه الحال

(جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا)

*الميسر:عند شدة الكرب

(فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ)

و هم الرسل و أتباعهم،

(وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ)

أي: و لا يرد عذابنا، عمن اجترم، و تجرأ على الله

(فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلا نَاصِرٍ)

***صحيح البخاري

4695 عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ لَهُ وَ هُوَ يَسْأَلُهَا عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:

{حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ} [يوسف: 110]

قَالَ: قُلْتُ: أَكُذِبُوا أَمْ كُذِّبُوا؟

قَالَتْ عَائِشَةُ: « كُذِّبُوا»

قُلْتُ: فَقَدِ اسْتَيْقَنُوا أَنَّ قَوْمَهُمْ كَذَّبُوهُمْ فَمَا هُوَ بِالظَّنِّ؟

قَالَتْ: «أَجَلْ لَعَمْرِي لَقَدِ اسْتَيْقَنُوا بِذَلِكَ»

فَقُلْتُ لَهَا: وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا،

قَالَتْ: «مَعَاذَ اللَّهِ لَمْ تَكُنِ الرُّسُلُ تَظُنُّ ذَلِكَ بِرَبِّهَا»

قُلْتُ: فَمَا هَذِهِ الآيَةُ؟

قَالَتْ: «هُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ الَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ،

وَ صَدَّقُوهُمْ فَطَالَ عَلَيْهِمُ البَلاَءُ،

وَ اسْتَأْخَرَ عَنْهُمُ النَّصْرُ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ مِمَّنْ كَذَّبَهُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ، وَ ظَنَّتِ الرُّسُلُ أَنَّ أَتْبَاعَهُمْ قَدْ كَذَّبُوهُمْ، جَاءَهُمْ نَصْرُ اللَّهِ عِنْدَ ذَلِكَ»

***صحيح البخاري

4696 - عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ:-

أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ، فَقُلْتُ لَعَلَّهَا كُذِبُوا مُخَفَّفَةً،

قَالَتْ: «مَعَاذَ اللَّهِ» نَحْوَهُ

***صحيح البخاري

4524 - عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

{حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا} [يوسف: 110]

خَفِيفَةً، ذَهَبَ بِهَا هُنَاكَ، وَ تَلاَ:

{حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ}

[البقرة: 214]. فَلَقِيتُ عُرْوَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ فَذَكَرْتُ لَهُ ذَلِكَ،

4525 - عن عَائِشَةَ:

«مَعَاذَ اللَّهِ وَ اللَّهِ مَا وَعَدَ اللَّهُ رَسُولَهُ مِنْ شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا عَلِمَ أَنَّهُ كَائِنٌ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ،

وَ لَكِنْ لَمْ يَزَلِ البَلاَءُ بِالرُّسُلِ،

حَتَّى خَافُوا أَنْ يَكُونَ مَنْ مَعَهُمْ يُكَذِّبُونَهُمْ»

فَكَانَتْ تَقْرَؤُهَا: (وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا) مُثَقَّلَةً( )

***تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر

(خفيفة) أي خفيفة الذال غير مشددة.

(ذهب بها هناك) أي فهم من هذه الآية ما فهم من تلك]

20026 عن أبي الضحى، عن مسروق

أن رجلا سأل عبد الله بن مسعود:

(حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا)

قال: هو الذي تكره = مخففةً.

(لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ)

أي: قصص الأنبياء و الرسل مع قومهم،

(عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِۗ)

أي: يعتبرون بها، أهل الخير و أهل الشر،

و أن من فعل مثل فعلهم ناله ما نالهم من كرامة أو إهانة، و يعتبرون بها أيضا،

ما لله من صفات الكمال و الحكمة العظيمة،

و أنه الله الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له.

و قوله: (مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ)

أي: ما كان هذا القرآن الذي قص الله به عليكم من أنباء الغيب ما قص من الأحاديث المفتراة المختلقة،

***الميسر:ما كان هذا القرآن حديثًا مكذوبًا مختلَقًا،**

(وَلَٰكِن) كان

(تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ)

من الكتب السابقة، يوافقها و يشهد لها بالصحة،

***مِنَ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ،
وَ هُوَ يُصَدِّقُ مَا فِيهَا مِنَ الصَّحِيحِ،
وَ يَنْفِي مَا وَقَعَ فِيهَا مِنْ تَحْرِيفٍ وَ تَبْدِيلٍ وَ تَغْيِيرٍ،
وَ يَحْكُمُ عَلَيْهَا بِالنَّسَخِ أَوِ التَّقْرِيرِ،

(وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ)

يحتاج إليه العباد من أصول الدين و فروعه، و من الأدلة و البراهين.

***مِنْ تَحْلِيلٍ وَ تَحْرِيمٍ، وَ مَحْبُوبٍ وَ مَكْرُوهٍ،
وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَمْرِ بِالطَّاعَاتِ وَ الْوَاجِبَاتِ وَ الْمُسْتَحَبَّاتِ،
وَ النَّهْيِ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ وَ مَا شَاكَلَهَا مِنَ الْمَكْرُوهَاتِ،
وَ الْإِخْبَارِ عَنِ الْأُمُورِ عَلَى الْجَلِيَّةِ،
وَ عَنِ الْغُيُوبِ الْمُسْتَقْبَلَةِ الْمُجْمَلَةِ وَ التَّفْصِيلِيَّةِ،
وَ الْإِخْبَارِ عَنِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ،
وَ تَنْزِيهِهِ عَنْ مُمَاثَلَةِ الْمَخْلُوقَاتِ، فَلِهَذَا كَانَ:

(وَهُدٗى)

فإنهم – بسبب ما يحصل لهم به من العلم بالحق و إيثـــــاره –

يحصل لهم الهدى،

(وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ)

و بما يحصل لهم من الثواب العاجل و الآجل تحصل لهم الرحمة.

***تَهْتَدِي بِهِ قُلُوبُهُمْ مِنَ الْغَيِّ إِلَى الرَّشَادِ،
وَ مِنَ الضَّلَالَةِ إِلَى السَّدَادِ،

وَ يَبْتَغُونَ بِهِ الرَّحْمَةَ مِنْ رَبِّ الْعِبَادِ، فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ الْمَعَادِ.
فَنَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ،
يَوْمَ يَفُوزُ بِالرِّبْحِ الْمُبْيَضَّة وُجُوهُهُمُ النَّاضِرَةُ،
وَ يَرْجِعُ المسودَّة وجوهُهم بِالصَّفْقَةِ الْخَاسِرَةِ.

فصـــــــل:-

في ذكر شيء من العبر و الفوائد التي اشتملت عليها هذه القصة العظيمة التي قال الله في أولها

(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ)

و قال (لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ)

و قال في آخرها (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأولِي الأَلْبَابِ)

غير ما تقدم في مطاويها من الفوائد. فمـــــن ذلـــــك:-

1-أن هذه القصة من أحسن القصص و أوضحها و أبينها،

لما فيها من أنواع التنقلات،

من حال إلى حال،

و من محنة إلى محنة،

و من محنة إلى منحة و منَّة،

و من ذل إلى عز،

و من رقٍّ إلى ملك،

و من فرقة و شتات إلى اجتماع و ائتلاف،

و من حزن إلى سرور،

و من رخاء إلى جدب،

و من جدب إلى رخاء،

و من ضيق إلى سعة،

و من إنكار إلى إقرار، فتبارك من قصها فأحسنها، و وضحها و بيَّنها.

2–أن فيها أصلا لتعبير الرؤيا،

و أن علم التعبير من العلوم المهمة التي يعطيها الله من يشاء من عباده،

و إن أغلب ما تبنى عليه المناسبة و المشابهة في الاسم و الصفة،

فإن رؤيا يوسف التي رأى أن الشمس و القمر،و أحد عشر كوكبا له ساجدين،

وجه المناسبة فيها:

أن هذه الأنوار هي زينة السماء و جمالها، و بها منافعها،

فكذلك الأنبياء و العلماء، زينة للأرض و جمال،

و بهم يهتدى في الظلمات كما يهتدى بهذه الأنوار،

و لأن الأصل أبوه و أمه،

و إخوته هم الفرع، فمن المناسب أن يكون الأصل أعظم نورا و جرما،

لما هو فرع عنه.

فلذلك كانت الشمس أمه، و القمر أباه، و الكواكب إخوته.

و من المناسبة أن الشمس لفظ مؤنث، فلذلك كانت أمه،

و القمر و الكواكب مذكرات، فكانت لأبيه و إخوته،

و من المناسبة أن الساجد معظم محترم للمسجود له،

و المسجود له معظم محترم،

فلذلك دل ذلك على أن يوسف يكون معظما محترما عند أبويه و إخوته.

و من لازم ذلك أن يكون مجتبى مفضلا في العلم و الفضائل الموجبة لذلك،

و لذلك قال له أبوه:

(وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ)

○و من المناسبة في رؤيا الفتييـــــــــن:

أنه أول رؤيا، الذي رأى أنه يعصر خمرا،

أن الذي يعصر في العادة، يكون خادما لغيره،و العصر يقصد لغيره،

فلذلك أوَّله بما يؤول إليه، أنه يسقي ربه، و ذلك متضمن لخروجه من السجن.

○و أوَّل الذي رأى أنه يحمل فوق رأسه خبزا تأكل الطير منه، بأن جلدة رأسه و لحمه، و ما في ذلك من المخ، أنه هو الذي يحمله، و أنه سيبرز للطيور، بمحل تتمكن من الأكل من رأسه،

فرأى من حاله أنه سيقتل و يصلب بعد موته فيبرز للطيور فتأكل من رأسه،

و ذلك لا يكون إلا بالصلب بعد القتل.

○و أوَّل رؤيا الملك للبقرات و السنبلات، بالسنين المخصبة، و السنين المجدبة،

و وجه المناسبة أن الملك، به ترتبط أحوال الرعية و مصالحها،

و بصلاحه تصلح، و بفساده تفسد،

و كذلك السنون بها صلاح أحوال الرعية، و استقامة أمر المعاش أو عدمه.

و أما البقر فإنها تحرث الأرض عليها، و يستقى عليها الماء،

و إذا أخصبت السنة سمنت،

و إذا أجدبت صارت عجافا،

و كذلك السنابل في الخصب، تكثر و تخضر،

و في الجدب تقل و تيبس و هي أفضل غلال الأرض.

3–ما فيها من الأدلة على صحة نبوة محمد ﷺ، حيث قصَّ على قومه هذه القصة الطويلة، و هو لم يقرأ كتب الأولين و لا دارس أحدا.

يراه قومه بين أظهرهم صباحا ومساء، و هو أمِّيٌّ لا يخط و لا يقرأ،

و هي موافقة، لما في الكتب السابقة، و ما كان لديهم إذ أجمعوا أمرهم و هم يمكرون.

4–أنه ينبغي البعد عن أسباب الشر، و كتمان ما تخشى مضرته،

لقول يعقوب ليوسف

(يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا)

5–أنه يجوز ذكر الإنسان بما يكره على وجه النصيحة لغيره لقوله:

(فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا)

6-أن نعمة الله على العبد، نعمة على من يتعلق به من أهل بيته و أقاربه و أصحابه، و أنه ربما شملتهم، و حصل لهم ما حصل له بسببه،

كما قال يعقوب في تفسيره لرؤيا يوسف

(وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ)

و لما تمت النعمة على يوسف، حصل لآل يعقوب من العز و التمكين في الأرض و السرور و الغبطة ما حصل بسبب يوسف.

7-أن العدل مطلوب في كل الأمور،

لا في معاملة السلطان رعيته

و لا فيما دونه،

حتى في معاملة الوالد لأولاده،

في المحبة و الإيثار و غيره،

و أن في الإخلال بذلك يختل عليه الأمر، و تفسد الأحوال،

و لهذا، لما قدم يعقوب يوسف في المحبة و آثره على إخوته،

←جرى منهم ما جرى على أنفسهم، و على أبيهم و أخيهم.

8-الحذر من شؤم الذنوب، و أن الذنب الواحد يستتبع ذنوبا متعددة،

و لا يتم لفاعله إلا بعدة جرائم،

فإخوة يوسف لما أرادوا التفريق بينه و بين أبيه، احتالوا لذلك بأنواع من الحيل، و كذبوا عدة مرات،

و زوروا على أبيهم في القميص و الدم الذي فيه،

و في إتيانهم عشاء يبكون،

و لا تستبعد أنه قد كثر البحث فيها في تلك المدة،

بل لعل ذلك اتصل إلى أن اجتمعوا بيوسف،

و كلما صار البحث، حصل من الإخبار بالكذب، و الافتراء،

ما حصل، و هذا شؤم الذنب، و آثاره التابعة و السابقة و اللاحقة.

9–أن العبرة في حال العبد بكمال النهاية، لا بنقص البداية،

فإن أولاد يعقوب عليه السلام جرى منهم ما جرى في أول الأمر،

مما هو أكبر أسباب النقص و اللوم،

ثم انتهى أمرهم إلى التوبة النصوح، و السماح التام من يوسف و من أبيهم،

و الدعاء لهم بالمغفرة و الرحمة،

و إذا سمح العبد عن حقه، فالله خير الراحمين.

و لهذا – في أصح الأقوال – أنهم كانوا أنبياء لقوله تعالى:

(وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ)

و هم أولاد يعقوب الاثنا عشر و ذريتهم،

و مما يدل على ذلك أن في رؤيا يوسف، أنه رآهم كواكب نيرة،

و الكواكب فيها النور و الهداية الذي من صفات الأنبياء،

فإن لم يكونوا أنبياء فإنهم علماء هداة.

10-ما منَّ الله به على يوسف عليه السلام من العلم و الحلم، و مكارم الأخلاق،

و الدعوة إلى الله و إلى دينه، و عفوه عن إخوته الخاطئين عفوا بادرهم به،

و تمم ذلك بأن لا يثرب عليهم و لا يعيرهم به.

ثم برُّه العظيم بأبويه، و إحسانه لإخوته، بل لعموم الخلق.

11-أن بعض الشر أهون من بعض،

و ارتكاب أخف الضررين أولى من ارتكاب أعظمهما،

فإن إخوة يوسف، لما اتفقوا على قتل يوسف أو إلقائه أرضا،

و قال قائل منهم:

(لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ)

كان قوله أحسن منهم و أخف، و بسببه خف عن إخوته الإثم الكبير.

12-أن الشيء إذا تداولته الأيدي و صار من جملة الأموال،

و لم يعلم أنه كان على غير وجه الشرع،

أنه لا إثم على من باشره ببيع أو شراء، أو خدمة أو انتفاع، أو استعمال،

فإن يوسف عليه السلام باعه إخوته بيعا حراما لا يجوز،

ثم ذهبت به السيارة إلى مصر فباعوه بها،

و بقي عند سيده غلاما رقيقا، و سماه الله شراء ،

و كان عندهم بمنزلة الغلام الرقيق المكرم.

13–الحذر من الخلوة بالنساء التي يخشى منهن الفتنة،

و الحذر أيضا من المحبة التي يخشى ضررها،

فإن امرأة العزيز جرى منها ما جرى،بسبب توحّدها بيوسف،و حبها الشديد له،

الذي ما تركها حتى راودته تلك المراودة،

ثم كذبت عليه، فسجن بسببها مدة طويلة.

14–أن الهمَّ الذي همَّ به يوسف بالمرأة ثم تركه لله، مما يقربه إلى الله زلفى،

لأن الهمّ داع من دواعي النفس الأمارة بالسوء، و هو طبيعة لأغلب الخلق،

فلما قابل بينه و بين محبة الله و خشيته،

غلبت محبة الله و خشيته داعي النفس و الهوى.

فكان ممن (خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى)

و من السبعة الذين يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، أحدهم:

« رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله »

و إنما الهم الذي يلام عليه العبد، الهم الذي يساكنه، و يصير عزما،

ربما اقترن به الفعل.

15–أن من دخل الإيمان قلبه،و كان مخلصا لله في جميع أموره

فإن الله يدفع عنه ببرهان إيمانه، و صدق إخلاصه من أنواع السوء و الفحشاء

و أسباب المعاصي ما هو جزاء لإيمانه وإخلاصه لقوله.

(وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ)

على قراءة من قرأها بكسر اللام،

و من قرأها بالفتح، فإنه من إخلاص الله إياه،

و هو متضمن لإخلاصه هو بنفسه،

فلما أخلص عمله لله أخلصه الله، و خلصه من السوء و الفحشاء.

16–أنه ينبغي للعبد إذا رأى محلا فيه فتنة و أسباب معصية،

أن يفر منه ويهرب غاية ما يمكنه، ليتمكن من التخلص من المعصية،

لأن يوسف عليه السلام– لما راودته التي هو في بيتها– فر هاربا، يطلب الباب ليتخلص من شرها،

17–أن القرائن يعمل بها عند الاشتباه،

فلو تخاصم رجل و امرأته في شيء من أواني الدار،

فما يصلح للرجل فإنه للرجل،

و ما يصلح للمرأة فهو لها، إذا لم يكن بينة،

و كذا لو تنازع نجار وحداد في آلة حرفتهما من غير بينة،

و العمل بالقافة في الأشباه و الأثر، من هذا الباب،

فإن شاهد يوسف شهد بالقرينة،

و حكم بها في قد القميص،

و استدل بقدِّه من دبره على صدق يوسف و كذبها.

و مما يدل على هذه القاعدة، أنه استدل بوجود الصُّواع في رحل أخيه على الحكم عليه بالسرقة، من غير بينة شهادة و لا إقرار،

فعلى هذا إذا وجد المسروق في يد السارق،

خصوصا إذا كان معروفا بالسرقة، فإنه يحكم عليه بالسرقة،

و هذا أبلغ من الشهادة،

و كذلك وجود الرجل يتقيأ الخمر،

أو وجود المرأة التي لا زوج لها و لا سيد، حاملا فإنه يقام بذلك الحد، ما لم يقم مانع منه،

و لهذا سمى الله هذا الحاكم شاهدا فقال:(وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا)

18–ما عليه يوسف ﷺ من الجمال الظاهر و الباطن،

فإن جماله الظاهر:

أوجب للمرأة التي هو في بيتها ما أوجب،

و للنساء اللاتي جمعتهن حين لمنها على ذلك أن قطعن أيديهن

وقلن (مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلا مَلَكٌ كَرِيمٌ)

و أما جماله الباطن:

فهو العفة العظيمة عن المعصية، مع وجود الدواعي الكثيرة لوقوعها،

و شهادة امرأة العزيز و النسوة بعد ذلك ببراءته،

و لهذا قالت امرأة العزيز:

(وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ)

و قالت بعد ذلك:

(الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ)

و قالت النسوة:

(حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ)

1–أن يوسف عليه السلام اختار السجن على المعصية،

فهكذا ينبغي للعبد إذا ابتلي بين أمـــــرين –

1–إما فعـــــل معصية،

2–و إمـــــا عقوبة دنيوية –

أن يختار العقوبة الدنيوية على مواقعة الذنب الموجب للعقوبة الشديدة في الدنيا و الآخرة،

و لهذا من علامات الإيمان، أن يكره العبد أن يعود في الكفر، بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى في النار.

19–أنه ينبغي للعبد أن يلتجئ إلى الله،

و يحتمي بحماه عند وجود أسباب المعصية، و يتبرأ من حوله و قوته،

لقول يوسف عليه السلام:

(وَإِلا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ)

20–أن العلم والعقل يدعوان صاحبهما إلى الخير، و ينهيانه عن الشر،

و أن الجهل يدعو صاحبه إلى موافقة هوى النفس،

و إن كان معصية ضارا لصاحبه.

21–أنه كما على العبد عبودية لله في الرخاء،

فعليه عبودية له في الشدة، فــــــ« يوسف » عليه السلام لم يزل يدعو إلى الله،

فلما دخل السجن، استمر على ذلك،

و دعا الفتيين إلى التوحيد، و نهاهما عن الشرك،

ومن فطنته عليه السلام أنه لما رأى فيهما قابلية لدعوته،

حيث ظنا فيه الظن الحسن و قالا له:

(إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)

و أتياه لأن يعبر لهما رؤياهما، فرآهما متشوفين لتعبيرها عنده –

رأى ذلك فرصة فانتهزها، فدعاهما إلى الله تعالى قبل أن يعبر رؤياهما ليكون

أنجح لمقصوده، و أقرب لحصول مطلوبه،

و بين لهما أولا أن الذي أوصله إلى الحال التي رأياه فيها من الكمال و العلم،

إيمانه و توحيده، و تركه ملة من لا يؤمن بالله و اليوم الآخر،

و هذا دعاء لهما بالحال،

ثم دعاهما بالمقال، و بين فساد الشرك و برهن عليه،

و حقيقة التوحيد و برهن عليه.

22–أنه يبدأ بالأهم فالأهم، و أنه إذا سئل المفتي،

و كان السائل حاجته في غير سؤاله أشد أنه ينبغي له أن يعلمه ما يحتاج إليه قبل أن يجيب سؤاله،

فإن هذا علامة على نصح المعلم و فطنته، و حسن إرشاده و تعليمه،

فإن يوسف – لما سأله الفتيان عن الرؤيا –

قدم لهما قبل تعبيرها دعوتهما إلى الله وحده لا شريك له.

23–أن من وقع في مكروه و شدة، لا بأس أن يستعين بمن له قدرة على تخليصه، أو الإخبار بحاله،

و أن هذا لا يكون شكوى للمخلوق،

فإن هذا من الأمور العادية التي جرى العرف باستعانة الناس بعضهم ببعض،

و لهذا قال يوسف للذي ظن أنه ناج من الفتيين: (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ)

24–أنه ينبغي و يتأكد على المعلم استعمال الإخلاص التام في تعليمه

و أن لا يجعل تعليمه وسيلة لمعاوضة أحد في مال أو جاه أو نفع،

و أن لا يمتنع من التعليم، أو لا ينصح فيه، إذا لم يفعل السائل ما كلفه به المعلم،

فإن يوسف عليه السلام قد قال، و وصى أحد الفتيين أن يذكره عند ربه،

فلم يذكره و نسي،

فلما بدت حاجتهم إلى سؤال يوسف أرسلوا ذلك الفتى،
و جاءه سائلا مستفتيا عن تلك الرؤيا، فلم يعنفه يوسف،
و لا وبخه، لتركه ذكره بل أجابه عن سؤاله جوابا تاما من كل وجه.
25–أنه ينبغي للمسئول أن يدل السائل على أمر ينفعه مما يتعلق بسؤاله،
و يرشده إلى الطريق التي ينتفع بها في دينه و دنياه،
فإن هذا من كمال نصحه و فطنته، و حسن إرشاده،
فإن يوسف عليه السلام لم يقتصر على تعبير رؤيا الملك،
بل دلهم – مع ذلك – على ما يصنعون في تلك السنين المخصبات من كثرة الزرع، و كثرة جبايته.
26–أنه لا يلام الإنسان على السعي في دفع التهمة عن نفسه،
و طلب البراءة لها، بل يحمد على ذلك، كما امتنع يوسف عن الخروج من السجن حتى تتبين لهم براءته بحال النسوة اللاتي قطعن أيديهن،
27–فضيلة العلم، علم الأحكام و الشرع، و علم تعبير الرؤيا،
و علم التدبير و التربية؛
و أنه أفضل من الصورة الظاهرة، و لو بلغت في الحسن جمال يوسف،
فإن يوسف – بسبب جماله – حصلت له تلك المحنة و السجن،
و بسبب علمه حصل له العز و الرفعة والتمكين في الأرض،

فإن كل خير في الدنيا و الآخرة من آثار العلم و موجباته.

28–أن علم التعبير من العلوم الشرعية،

و أنه يثاب الإنسان على تعلمه و تعليمه،

و أن تعبير المرائي داخل في الفتوى،

لقوله للفتيين:(قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ)

و قال الملك: (أَفْتُونِى فِى رُؤْيَاىَ)

و قال الفتى ليوسف:

(أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَاتٍ)الآيات،

فلا يجوز الإقدام على تعبير الرؤيا من غير علم.

29–أنه لا بأس أن يخبر الإنسان عما في نفسه من صفات الكمال من علم أو عمل، إذا كان في ذلك مصلحة،

و لم يقصد به العبد الرياء، و سلم من الكذب، لقول يوسف:

(اجْعَلْنِى عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ)

و كذلك لا تذم الولاية، إذا كان المتولي فيها يقوم بما يقدر عليه من حقوق الله وحقوق عباده،

و أنه لا بأس بطلبها، إذا كان أعظم كفاءة من غيره،

و إنما الذي يذم، إذا لم يكن فيه كفاية،

أو كان موجودا غيره مثله،

أو أعلى منه،

أو لم يرد بها إقامة أمر الله،

فبهذه الأمور، ينهى عن طلبها، و التعرض لها.

30–أن الله واسع الجود و الكرم،

يجود على عبده بخير الدنيا و الآخرة،

و أن خير الآخرة له سببـــــــان:–

1–الإيمـــــان

2–و التقـــــوى،

و أنه خير من ثواب الدنيا و ملكها،

و أن العبد ينبغي له أن يدعو نفسه، و يشوقها لثواب الله،

و لا يدعها تحزن إذا رأت أهل الدنيا و لذاتها،

و هي غير قادرة عليها، بل يسليها بثواب الله الأخروي،

و فضله العظيم لقوله تعالى:

(وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ)

30–أن جباية الأرزاق – إذا أريد بها التوسعة على الناس من غير ضرر يلحقهم – لا بأس بها، لأن يوسف أمرهم بجباية الأرزاق و الأطعمة في السنين المخصبات، للاستعداد للسنين المجدبة،

و أن هذا غير مناقض للتوكل على الله،

بل يتوكل العبد على الله، و يعمل بالأسباب التي تنفعه في دينه و دنياه.

31–حسن تدبير يوسف لما تولى خزائن الأرض، حتى كثرت عندهم الغلات جدا حتى صار أهل الأقطار يقصدون مصر لطلب الميرة منها،
لعلمهم بوفورها فيها، و حتى إنه كان لا يكيل لأحد إلا مقدار الحاجة الخاصة أو أقل،
لا يزيد كل قادم على كيل بعير وحمله.

32–مشروعية الضيافة، و أنها من سنن المرسلين، وإكرام الضيف لقول يوسف لإخوته (أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ)

33–أن سوء الظن مع وجود القرائن الدالة عليه غير ممنوع و لا محرم،
فإن يعقوب قال لأولاده بعد ما امتنع من إرسال يوسف معهم حتى عالجوه أشد المعالجة، ثم قال لهم بعد ما أتوه،
و زعموا أن الذئب أكله
(بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا)
و قال لهم في الأخ الآخر:
(هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ)
ثم لما احتبسه يوسف عنده، و جاء إخوته لأبيهم قال لهم:
(بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا)
فهم في الأخيرة – و إن لم يكونوا مفرطين –

فقد جرى منهم ما أوجب لأبيهم أن قال ما قال، من غير إثم عليه و لا حرج.

34–أن استعمال الأسباب الدافعة للعين أو غيرها من المكاره،

أو الرافعة لها بعد نزولها، غير ممنوع، بل جائز،

و إن كان لا يقع شيء إلا بقضاء و قدر،

فإن الأسباب أيضا من القضاء و القدر، لأمر يعقوب حيث قال لبنيه:

(يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ)

35–جواز استعمال المكايد التي يتوصل بها إلى الحقوق،

و أن العلم بالطرق الخفية الموصلة إلى مقاصدها مما يحمد عليه العبد،

و إنما الممنوع، التحيل على إسقاط واجب، أو فعل محرم.

36–أنه ينبغي لمن أراد أن يوهم غيره، بأمر لا يحب أن يطلع عليه،

أن يستعمل المعاريض القولية و الفعلية المانعة له من الكذب،

كما فعل يوسف حيث ألقى الصُّواع في رحل أخيه،

ثم استخرجها منه، موهما أنه سارق،

و ليس فيه إلا القرينة الموهمة لإخوته،

و قال بعد ذلك:

(مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ)

و لم يقل « من سرق متاعنا »

و كذلك لم يقل « إنا وجدنا متاعنا عنده »

بل أتى بكلام عام يصلح له و لغيره،

و ليس في ذلك محذور،

و إنما فيه إيهام أنه سارق ليحصل المقصود الحاضر،

و أنه يبقى عند أخيه

و قد زال عن الأخ هذا الإيهام بعد ما تبينت الحال.

37–أنه لا يجوز للإنسان أن يشهد إلا بما علمه، و تحققه

إما بمشـــــــاهدة أو خبـــــــر من يثق به،

و تطمئن إليه النفس لقولهم(وَمَا شَهِدْنَا إِلا بِمَا عَلِمْنَا)

38–هذه المحنة العظيمة التي امتحن الله بها نبيه وصفيه يعقوب عليه السلام

حيث قضى بالتفريق بينه و بين ابنه يوسف،

الذي لا يقدر على فراقه ساعة واحدة،

و يحزنه ذلك أشد الحزن، فحصل التفريق بينه و بينه مدة طويلة،

لا تقصر عن خمس عشرة سنة،

و يعقوب لم يفارق الحزن قلبه في هذه المدة

(وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ)

ثم ازداد به الأمر شدة، حين صار الفراق بينه و بين ابنه الثاني شقيق يوسف،

هذا و هو صابر لأمر الله، محتسب الأجر من الله،

قد وعد من نفسه الصبر الجميل،

و لا شك أنه وفى بما وعد به،

و لا ينافي ذلك، قوله:

(إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ)

فإن الشكوى إلى الله لا تنافي الصبر،

و إنما الذي ينافيه، الشكوى إلى المخلوقين.

39–أن الفرج مع الكرب؛ و أن مع العسر يسرا،

فإنه لما طال الحزن على يعقوب و اشتد به إلى أنهى ما يكون،

ثم حصل الاضطرار لآل يعقوب و مسهم الضر، أذن الله حينئذ بالفرج،

فحصل التلاقي في أشد الأوقات إليه حاجة و اضطرارا،

فتم بذلك الأجر و حصل السرور،

و علم من ذلك أن الله يبتلي أولياءه بالشدة و الرخاء، و العسر و اليسر

ليمتحن صبرهم و شكرهم،

و يزداد – بذلك – إيمانهم و يقينهم و عرفانهم.

40–جواز إخبار الإنسان بما يجد،

و ما هو فيه من مرض أو فقر و نحوهما، على غير وجه التسخط،

لأن إخوة يوسف قالوا:

(يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ)

و لم ينكر عليهم يوسف.

41–فضيلة التقوى و الصبر، و أن كل خير في الدنيا و الآخرة

فمن آثار التقوى و الصبر، و أن عاقبة أهلهما، أحسن العواقب، لقوله:

(قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)

42–أنه ينبغي لمن أنعم الله عليه بنعمة بعد شدة و فقر و سوء حال،

أن يعترف بنعمة الله عليه، و أن لا يزال ذاكرا حاله الأولى،

ليحدث لذلك شكرا كلما ذكرها، لقول يوسف عليه السلام:

(وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ)

43–لطف الله العظيم بيوسف، حيث نقله في تلك الأحوال،

و أوصل إليه الشدائد والمحن،ليوصله بها إلى أعلى الغايات و رفيع الدرجات.

44–أنه ينبغي للعبد أن يتملق إلى الله دائما في تثبيت إيمانه،

و يعمل الأسباب الموجبة لذلك، و يسأل الله حسن الخاتمة،

و تمام النعمة لقول يوسف عليه السلام:

(رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ)

○فهذا ما يسر الله من الفوائد والعبر في هذه القصة المباركة،

و لا بد أن يظهر للمتدبر المتفكر غير ذلك.

فنسأله تعالى علما نافعا و عملا متقبلا إنه جواد كريم.

تم تفسير سورة يوسف و أبيه وإخوته عليهم الصلاة و السلام،

و الحمد لله رب العالمين.

تفسير سورة الـــــرعد، و هي مدنية، و قيل: مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ (١) ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ (٢) وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ (٣) وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ (٤) ۞ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٥)

(الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ)

يخبر تعالى أن هذا القرآن هو آيات الكتاب الدالة على كل ما يحتاج إليه العباد من أصول الدين و فروعه،

(وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ)

و أن الذي أنزل إلى الرسول من ربه هو الحق المبين،

لأن أخباره صدق، و أوامره و نواهيه عدل، مؤيدة بالأدلة و البراهين القاطعة،

فمن أقبل عليه و على علمه، كان من أهل العلم بالحق،

الذي يوجب لهم علمهم العمل بما أحب الله.

(وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ)

بهذا القرآن،

إمـــــا جهلا و إعراضا عنه و عدم اهتمام به،

و إمـــــا عنادا و ظلما،

فلذلك أكثر الناس غير منتفعين به، لعدم السبب الموجب للانتفاع.

*** قَوْلِهِ: {وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ} [يُوسُفَ: 103]

أَيْ: مَعَ هَذَا الْبَيَانِ وَ الْجَلَاءِ وَ الْوُضُوحِ،

لَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ لِمَا فِيهِمْ مِنَ الشِّقَاقِ وَ الْعِنَادِ وَ النِّفَاقِ.

ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

يخبر تعالى عن انفراده بالخلق و التدبير، و العظمة و السلطان الدال على أنه وحده المعبود الذي لا تنبغي العبادة إلا له

فقال: (ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ)

على عظمها و اتساعها بقدرته العظيمة،

(بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ)

أي: ليس لها عمد من تحتها، فإنه لو كان لها عمد، لرأيتموها

(ثُمَّ)

بعد ما خلق السماوات و الأرض

(ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ)

العظيم الذي هو أعلى المخلوقات، استواء يليق بجلاله و يناسب كماله.

(وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ)

لمصالح العباد و مصالح مواشيهم و ثمارهم،

(كُلٌّ) من الشمس و القمر

(يَجْرِى) بتدبير العزيز العليم،

(لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ)

بسير منتظم، لا يفتران و لا ينيان،

حتى يجيء الأجل المسمى و هو طي الله هذا العالم،

و نقلهم إلى الدار الآخرة التي هي دار القرار،

فعند ذلك يطوي الله السماوات و يبدلها،

و يغير الأرض و يبدلها. فتكور الشمس و القمر،

و يجمع بينهما فيلقيان في النار، ليرى من عبدهما أنهما غير أهل للعبادة؛

فيتحسر بذلك أشد الحسرة و ليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين.

***الْمُرَادُ أَنَّهُمَا يَجْرِيَانِ إِلَى انْقِطَاعِهِمَا بِقِيَامِ السَّاعَةِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} [يس: 38] .

و قوله (يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ)

***الميسر:يوضح لكم الآيات الدالة على قدرته**

❍هذا جمع بين الخلق و الأمر،

أي: قد استوى الله العظيم على سرير الملك،

يدبر الأمور في العالم العلوي و السفلي،

فيخلق و يرزق، و يغني و يفقر، و يرفع أقواما و يضع آخرين،

و يعز و يذل، و يخفض و يرفع، و يقيل العثرات، و يفرج الكربات،

و ينفذ الأقدار في أوقاتها التي سبق بها علمه،

و جرى بها قلمه، و يرسل ملائكته الكرام لتدبير ما جعلهم على تدبيره.

و ينزل الكتب الإلهية على رسله

و يبين ما يحتاج إليه العباد من الشرائع و الأوامر و النواهي،

و يفصلها غاية التفصيل ببيانها و إيضاحها و تمييزها،

(لَعَلَّكُم)

بسبب ما أخرج لكم من الآيات الأفقية و الآيات القرآنية،

(بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ)

***الميسر:لتوقنوا بالله و المعاد إليه،**

فتصدقوا بوعده و وعيده و تُخْلصوا العبادة له وحده.

❍فإن كثرة الأدلة و بيانها و وضوحها،

من أسباب حصول اليقين في جميع الأمور الإلهية،

خصوصا في العقائد الكبار، كالبعث و النشور و الإخراج من القبور.

و أيضا فقد علم أن الله تعالى حكيم لا يخلق الخلق سدى، و لا يتركهم عبثا،

فكما أنه أرسل رسله و أنزل كتبه لأمر العباد و نهيهم،

فلا بد أن ينقلهم إلى دار يحل فيها جزاؤه،

فيجازي المحسنين بأحسن الجزاء،

و يجازي المسيئين بإساءتهم.

(وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ)

***الميسر:و هو سبحانه الذي جعل الأرض متسعة ممتدة،**

و هيأها لمعاشكم

❍أي: خلقها للعباد، و وسعها و بارك فيها و مهدها للعباد،

و أودع فيها من مصالحهم ما أودع،

(وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ)

أي:جبالا عظاما، لئلا تميد بالخلق،

فإنه لولا الجبال لمادت بأهلها، [لأنها على تيار ماء]

لا ثبوت لها و لا استقرار إلا بالجبال الرواسي، التي جعلها الله أوتادا لها.

(وَ) جعل فيها

(وَأَنْهَٰرًا)

تسقي الآدميين و بهائمهم و حروثهم،

فأخرج بها من الأشجار و الزروع و الثمار خيرا كثيرا

و لهذا قال:(وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ)

أي: صنفين مما يحتاج إليه العباد.

(يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ)

فتظلم الآفاق فيسكن كل حيوان إلى مأواه

و يستريحون من التعب و النصب في النهار،

ثم إذا قضوا مأربهم من النوم غشي النهار الليل

فإذا هم مصبحون منتشرون في مصالحهم و أعمالهم في النهار.

(وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ

وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ)

على المطالب الإلهية

(لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)

فيها، و ينظرون فيها نظر اعتبار دالة على أن الذي خلقها و دبرها و صرفها،

هو الله الذي لا إله إلا هو،

و لا معبود سواه،

و أنه عالم الغيب والشهادة، الرحمن الرحيم،

و أنه القادر على كل شيء،

الحكيم في كل شيء المحمود على ما خلقه و أمر به تبارك و تعالى.

○و من الآيات على كمال قدرته و بديع صنعته أن جعل

(وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ)

***أراضٍ تُجَاوِرُ بَعْضُهَا بَعْضًا،
مَعَ أَنَّ هَذِهِ طَيِّبَةٌ تُنْبِتُ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ،
وَ هَذِهِ سَبَخة مَالِحَةٌ لَا تُنْبِتُ شَيْئًا.
وَ كَذَا يَدْخُلُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ اخْتِلَافُ أَلْوَانِ بِقَاعِ الْأَرْضِ،
فَهَذِهِ تُرْبَةٌ حَمْرَاءُ، وَ هَذِهِ بَيْضَاءُ، وَ هَذِهِ صَفْرَاءُ، وَ هَذِهِ سَوْدَاءُ،
وَ هَذِهِ مُحَجَّرَةٌ وَ هَذه سَهْلَةٌ، وَ هَذِهِ مُرَمَّلَةٌ، وَ هَذِهِ سَمِيكَةٌ،
وَ هَذِهِ رَقِيقَةٌ، وَ الْكُلُّ مُتَجَاوِرَاتٌ.

فَهَذِهِ بِصِفَتِهَا، وَ هَذِهِ بِصِفَتِهَا الْأُخْرَى،
فَهَذَا كُلُّهُ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى الْفَاعِلِ الْمُخْتَارِ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَ لَا رَبَّ سِوَاهُ.

الاعجاز العلمي:

الرابط

*و يفهم القارىء العادي من هذه الآية تجاور حقولا لمزارعين بما فيها من جنات و أعناب و نخيل،

و لكن المتمعن علمياً في معنى هذه الآية يرى:–

إذا كان جيولوجياً أن الألواح القارية

(التي نتجت عن تصدع القشرة الأرضية على مستوى الكوكب تحت البحار والمحيطات واليابسة) بدليل قوله تعالى:

(والأرض ذات الصدع)

هي القطع المقصودة قرآنياً و التي تنقسم إليها كل القشرة الأرضية، أي:

(القطع المتجاورات)

و لو كانت الأرض مستوية مسطحة لتجاورت كل القطع ما عدا القطع الموجودة في أطرافها بينما لكي يتحقق التجاور للجميع طبقاً للنص القرآني:

﴿قطع متجاورات ﴾

فلا بد أن يكون السطح كروياً لأن انحناء السطح يؤدي إلى تجاور جميع القطع، الأمر الذي لا يتوفر مطلقاً في السطح المستوي..

فهل أدركت عزيزي القارىء دقة التعبير القرآني في عبارة (قطع متجاورات)..

(وَجَنَّتٌ)

فيها أنواع الأشجار

(مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ)

و غير ذلك،

(وَنَخِيلٌ)

و النخيل التي بعضها

(صِنْوَانٌ)

أي: عدة أشجار في أصل واحد،

***الصِّنْوَانُ:

هِيَ الْأُصُولُ الْمُجْتَمِعَةُ فِي مَنْبَتٍ وَاحِدٍ،

كَالرُّمَّانِ وَ التِّينِ وَ بَعْضِ النَّخِيلِ، وَ نَحْوِ ذَلِكَ

(وَغَيْرُ صِنْوَانٍ)

بأن كان كل شجرة على حدتها،

***وَ غَيْرُ الصِّنْوَانِ:

مَا كَانَ عَلَى أَصْلٍ وَاحِدٍ، كَسَائِرِ الْأَشْجَارِ،

وَ مِنْهُ سُمِّي عَمُّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ،

كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ:

983-مسلم: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

قَالَ لِعُمَرَ: " أَمَا شَعَرْتَ أَنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ؟ "( )

أي مثله و نظيره يعني أنهما من أصل واحد يقال لنخلتين طلعتا من عرق واحد صنوان ولأحدهما صنو ويكون جمعه على صورة مثناه المرفوع و يتميزان بالإعراب

*الميسر:و نخيلا مجتمعًا في منبت واحد، و غير مجتمع فيه

❍و الجميع

(يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ)

و أرضه واحدة

(وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ)

لونا و طعما و نفعا و لذة؛

فهذه أرض طيبة تنبت الكلأ و العشب الكثير و الأشجار و الزروع،

و هذه أرض تلاصقها لا تنبت كلأ و لا تمسك ماء،

و هذه تمسك الماء و لا تنبت الكلأ

و هذه تنبت الزرع و الأشجار و لا تنبت الكلأ

و هذه الثمرة حلوة و هذه مرة و هذه بين ذلك.

فهل هذا التنوع في ذاتها و طبيعتها؟

أم ذلك تقدير العزيز الرحيم؟

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ)

أي: لقوم لهم عقول تهديهم إلى ما ينفعهم،

و تقودهم إلى ما يرشدهم و يعقلون عن الله وصاياه و أوامره و نواهيه،

❍و أما أهل الإعراض، و أهل البلادة فهم في ظلماتهم يعمهون،

و في غيهم يترددون، لا يهتدون إلى ربهم سبيلا و لا يعون له قيلا.

۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾

❍يحتمل أن معنى قوله (وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ)

من عظمة الله تعالى و كثرة أدلة توحيده،

فإن العجب – مع هذا– إنكار المكذبين و تكذيبهم بالبعث،

و قولهم (قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ)

أي: هذا بعيد في غاية الامتناع بزعمهم، أنهم بعد ما كانوا ترابا،

أن الله يعيدهم، فإنهم – من جهلهم–[قاسوا قدرة الخالق بقدرة المخلوق.]

فلما رأوا هذا ممتنعا في قدرة المخلوق ظنوا أنه ممتنع على قدرة الخالق،

و نسوا أن الله خلقهم أول مرة و لم يكونوا شيئا.

❍و يحتمل أن معناه: (وَإِن تَعْجَبْ)من قولهم و تكذيبهم للبعث،

فإن ذلك من العجائب، فإن الذي توضح له الآيات،

و يرى من الأدلة القاطعة على البعث ما لا يقبل الشك و الريب،

ثم ينكر ذلك فإن قوله من العجائب.

و لكن ذلك لا يستغرب على (أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ)

و جحدوا وحدانيته، و هي أظهر الأشياء و أجلاها،

(وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ)

المانعة لهم من الهدى

*** الميسر:و أولئك تكون السلاسل من النار في أعناقهم يوم القيامة،**

(فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ)

حيث دُعُوا إلى الإيمان فلم يؤمنوا،

و عُرِضَ عليهم الهدى فلم يهتدوا،

فقلبت قلوبهم و أفئدتهم عقوبة على أنهم لم يؤمنوا به أول مرة،

(وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ)

لا يخرجون منها أبدا.

وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴿١٣﴾

وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ
وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٦﴾

(وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ)

***الميسر :و يستعجلك المكذِّبون بالعقوبة التي لم أعاجلهم بها**

(قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ)

الإيمان الذي يرجى به الأمان و الحسنات،

❍يخبر تعالى عن جهل المكذبين لرسوله المشركين به،

الذين وعظوا فلم يتعظوا، و أقيمت عليهم الأدلة فلم ينقادوا لها،

بل جاهروا بالإنكار،

و استدلوا بحلم الله الواحد القهار عنهم،و عدم معاجلتهم بذنوبهم أنهم على حق،

و جعلوا يستعجلون الرسول بالعذاب،

و يقول قائلهم:(اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)

*****كَمَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِ:**

{وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِى نزلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ* لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * مَا نُنزلُ الْمَلائِكَةَ إِلا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ} [الْحِجْرِ:6 -8]

وَ قَالَ تَعَالَى:{وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ* يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ} [الْعَنْكَبُوتِ: 53، 54]

وَ قَالَ:{سَأَلَ سَايِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ} [الْمَعَارِجِ: 1]

وَ قَالَ:{يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ} [الشُّورَى: 18]

{وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ} [ص: 16]
أَيْ: حِسَابَنَا وَ عِقَابَنَا،
(و) الحال أنه (وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ)
أي: وقائع الله و أيامه في الأمم المكذبين،
أفلا يتفكرون في حالهم و يتركون جهلهم
(وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ)
أي: لا يزال خيره إليهم، و إحسانه و بره و عفوه نازلا إلى العباد،
و هم لا يزال شرهم و عصيانهم إليه صاعدًا.
يعصونه فيدعوهم إلى بابه،
و يجرمون فلا يحرمهم خيره و إحسانه،
فإن تابوا إليه فهو حبيبهم لأنه يحب التوابين، و يحب المتطهرين
و إن لم يتوبوا فهو طبيبهم، يبتليهم بالمصائب، ليطهرهم من المعايب
(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)
***إِنَّهُ ذُو عَفْوٍ وَ صَفْحٍ وَ سَتْرٍ لِلنَّاسِ مَعَ أَنَّهُمْ يَظْلِمُونَ وَ يُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ.
ثُمَّ قَرَنَ هَذَا الْحُكْمَ بِأَنَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ، لِيَعْتَدِلَ الرَّجَاءُ وَ الْخَوْفُ،
كَمَا قَالَ تَعَالَى: {فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ} [الْأَنْعَامِ: 147]

وَ قَالَ: {إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} [الْأَعْرَافِ: 167]

وَ قَالَ: {نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ}

[الْحِجْرِ:49، 50]

إِلَى أَمْثَالِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي تَجْمَعُ الرَّجَاءَ وَ الْخَوْفَ

(وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ)

على من لم يزل مصرا على الذنوب،

قد أبى التوبة و الاستغفار و الالتجاء إلى العزيز الغفار،

فليحذر العباد عقوباته بأهل الجرائم، فإن أخذه أليم شديد.

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ۝٧

(وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ)

أي:و يقترح الكفار عليك من الآيات، التي يعينونها

و يقولون: (لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ)

*الميسر:و يقول كفار «مكة» :-

هلا جاءته معجزة محسوسة كعصا موسى و ناقة صالح

❍و يجعلون هذا القول منهم، عذرا لهم في عدم الإجابة إلى الرسول،

و الحال أنه منذر ليس له من الأمر شيء، و الله هو الذي ينزل الآيات.

و قد أيده بالأدلة البينات التي لا تخفى على أولي الألباب،

و بها يهتدي من قصده الحق،

و أما الكافر الذي – من ظلمه و جهله–

يقترح على الله الآيات فهذا اقتراح منه باطل و كذب و افتراء .

فإنه لو جاءته أي آية كانت لم يؤمن و لم ينقد؛

لأنه لم يمتنع من الإيمان، لعدم ما يدله على صحته

و إنما ذلك لهوى نفسه و اتباع شهوته

***يَقُولُ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنِ الْمُشْرِكِينَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ كُفْرًا وَ عِنَادًا:-
لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ ربه كما أرسل الأولون، كما تعتنوا عَلَيْهِ
أَنْ يَجْعَلَ لَهُمُ الصَّفَا ذَهَبًا،
وَ أَنْ يُزِيلَ عَنْهُمُ الْجِبَالَ،
وَ يَجْعَلَ مَكَانَهَا مُرُوجًا وَ أَنْهَارًا،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا

ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلا تَخْوِيفًا} [الْإِسْرَاءِ: 59] .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ}

أَيْ: إِنَّمَا عَلَيْكَ أَنْ تُبَلِّغَ رِسَالَةَ اللَّهِ الَّتِي أَمَرَكَ بِهَا،

{لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [الْبَقَرَةِ: 272] .

(وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ)

أي: داع يدعوهم إلى الهدى من الرسل و أتباعهم،

و معهم من الأدلة و البراهين ما يدل على صحة ما معهم من الهدى.

*** كما قَالَ: {وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ} [فَاطِرٍ: 24]

ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾

يخبر تعالى بعموم علمه و سعة اطلاعه و إحاطته بكل شيء

فقال: (ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ)

من بني آدم و غيرهم،

(وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ)

أي: تنقص مما فيها إما أن يهلك الحمل أو يتضاءل أو يضمحل

***قال الدكتور زغلول النجار(من مقطع على اليوتيوب)**

من الثابت أن الجنين في مراحله الاولي إذا قُدِر له الوفاة:-

(((يتحلل الي سائل و يتشربه جدار الرحم)))

دون أن تعلم المرأة أنها حملت

و دون أن يعلم أحد انها حملت

***و يشبه الله تحلل هذا الجنين في مراحله الأولي بغيض الماء في الأرض**

كما قال الله{وَقِيلَ يَاأَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَاسَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ}

[هود: 44]

(وَمَا تَزۡدَادُۖ)

الأرحام و تكبر الأجنة التي فيها،

***قال الدكتور زغلول النجار:**

واذا بقي فيؤدي الي زيادة بطن هذه المرأة الحامل

(وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ)

لا يتقدم عليه و لا يتأخر و لا يزيد و لا ينقص إلا بما تقتضيه حكمته و علمه.

***يخْبِرُ تَعَالَى عَنْ تَمَامِ عِلْمِهِ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ،

وَ أَنَّهُ مُحِيطٌ بِمَا تَحْمِلُهُ الْحَوَامِلُ مِنْ كُلِّ إِنَاثِ الْحَيَوَانَاتِ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ} [لُقْمَانَ: 34]

أَيْ: مَا حَمَلَتْ مِنْ ذِكْرٍ أَوْ أُنْثَى، أَوْ حَسَنٍ أَوْ قَبِيحٍ، أَوْ شَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ، أَوْ طَوِيلِ الْعُمُرِ أَوْ قَصِيرِهِ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى} [النَّجْمِ: 32] .

وَ قَالَ تَعَالَى: {يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ} [الزُّمَرِ:6]

أَيْ: خَلَقَكُمْ طَوْرًا مِنْ بَعْدِ طَوْرٍ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} [الْمُؤْمِنُونَ: 12: 14]

وَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا،
ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مضغة مثل ذلك،
ثم يبعث إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ:-
يَكْتب رِزْقَهُ، وَ عُمُرَهُ، و عَمَلَهُ، وَ شِقِّيٌ أَوْ سَعِيدٌ" ( ) .
***وَ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ:
"فَيَقُولُ الْمَلَكُ: أَيْ رَبِّ، أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟
أَيْ رَبِّ، أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟
فَمَا الرِّزْقُ؟
فَمَا الْأَجَلُ؟
فَيَقُولُ اللَّهُ، وَ يَكْتُبُ الْمَلَكُ" ( ) .

فإنه (عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ)

*الميسر:الله عالم بما خفي عن الأبصار،

(وَٱلشَّهَٰدَةِ)

*الميسر:و بما هو مشاهَد،

(ٱلۡكَبِيرُ)

في ذاته و أسمائه و صفاته

(ٱلۡمُتَعَالِ)

البخاري3208

رواه مسلم في صحيحه برقم (2645) من حديث حذيفة بن أسيد، رضي الله عنه.

على جميع خلقه بذاته و قدرته و قهره.

(سَوَآءٌ مِّنكُم)

في علمه و سمعه و بصره.

***الميسر:يستوي في علمه تعالى**

(مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ)

***الميسر:مَن أخفى القول منكم**

(وَمَن جَهَرَ بِهِۦ)

*** كَمَا قَالَ:{وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى} [طَهَ: 7]

وَ قَالَ:{وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ} [النَّمْلِ: 25]

وَ قَالَتْ عَائِشَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:-

سُبْحَانَ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ،

وَ اللَّهِ لَقَدْ جَاءَتِ الْمُجَادِلَةُ تَشْتَكِي زَوْجَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

وَ أَنَا فِي جَنْبِ الْبَيْتِ، وَ إِنَّهُ لَيَخْفَى عليَّ بَعْضُ كَلَامِهَا،

فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [الْمُجَادَلَةِ: 1] .

(وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ)

أي: مستقر بمكان خفي فيه،

(وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ)

أي: داخل سربه في النهار

و السرب:–

هو ما يختفي فيه الإنسان إما جوف بيته أو غار أو مغارة أو نحو ذلك.

(لَهُۥ) أي: للإنسان

(مُعَقِّبَٰتٞ)

من الملائكة يتعاقبون في الليل و النهار.

***لِلْعَبْدِ مَلَائِكَةٌ يَتَعَاقَبُونَ عَلَيْهِ، حَرَس بِاللَّيْلِ و حَرَس بِالنَّهَارِ،
يَحْفَظُونَهُ مِنَ الْأَسْوَاءِ وَ الْحَادِثَات،
كَمَا يَتَعَاقَبُ مَلَائِكَةٌ آخَرُونَ لِحِفْظِ الْأَعْمَالِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ،
مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَ مَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ،

(مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ)

فَاثْنَانِ عَنِ الْيَمِينِ و عَنِ الشِّمَالِ يَكْتُبَانِ الْأَعْمَالَ،
صَاحِبُ الْيَمِينِ يَكْتُبُ الْحَسَنَاتِ،
وَ صَاحِبُ الشِّمَالِ يَكْتُبُ السَّيِّئَاتِ،
وَ مَلَكَانِ آخَرَانِ يَحْفَظَانِهِ وَ يَحْرُسَانِهِ،
وَاحِدًا مِنْ وَرَائِهِ وَ آخرَ مَنْ قُدَّامِهِ،
فَهُوَ بَيْنُ أَرْبَعَةِ أَمْلَاك بِالنَّهَارِ،
وَ أَرْبَعَةٍ آخَرِينَ بِاللَّيْلِ بَدَلًا حَافِظَانِ وَ كَاتِبَانِ،
*** صحيح البخاري
555 -عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
قَالَ: " يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَ مَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ،

وَ يَجْتَمِعُونَ فِي صَلاَةِ الفَجْرِ وَ صَلاَةِ العَصْرِ،
ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ:-
كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟
فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَ هُمْ يُصَلُّونَ
وَ أَتَيْنَاهُمْ وَ هُمْ يُصَلُّونَ "( )

(يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ)

أي: يحفظون بدنه و روحه من كل من يريده بسوء،

و يحفظون عليه أعماله،

و هم ملازمون له دائما،

فكما أن علم الله محيط به،

فالله قد أرسل هؤلاء الحفظة على العباد،

بحيث لا تخفى أحوالهم و لا أعمالهم، و لا ينسى منها شيء،

***وَ قَالَ عِكْرِمة، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: {يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ}
قَالَ: مَلَائِكَةٌ يَحْفَظُونَهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مَنْ خَلْفِهِ،
فَإِذَا جَاءَ قَدَرُ اللَّهِ خَلَّوا عَنْهُ.
***صحيح مسلم

(يتعاقبون فيكم) تأتي طائفة بعد الأخرى.
(يعرج) يصعد إلى السماء.
(فيسألهم وهو أعلم بهم) أي فيسأل الله تعالى الملائكة عن حال المصلين
و هو أعلم بحالهم و الحكمة من سؤالهم إظهار شهادتهم لبني آدم بالخير

(2814) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ:
قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، إِلَّا وَ قَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ»
قَالُوا:وَ إِيَّاكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ
قَالَ: «وَ إِيَّايَ، إِلَّا أَنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ»( )

(إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ)

من النعمـــــــة و الإحســـــان و رغـــــد العيش

(حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ)

بأن ينتقلوا من الإيمــــان إلى الكفــــر

و من الطـــــاعة إلى المعصيــــة،

أو من شكـــــر نعم الله إلى البطـــــر بها

فيسلبهم الله عند ذلك إيـــــاها.

و كذلك إذا غير العباد ما بأنفسهم من المعصية،

فانتقلوا إلى طاعة الله، غَيَّرَ الله عليهم ما كانوا فيه

من الشقاء إلى الخير و السرور و الغبطة و الرحمة،

(وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا)

أي: عذابا و شدة و أمرا يكرهونه، فإن إرادته لا بد أن تنفذ فيهم.

(فَـ) إنه

(فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ)

و لا أحد يمنعهم منه،

(وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ)

يتولى أمورهم فيجلب لهم المحبوب،

و يدفع عنهم المكروه،

فليحذروا من الإقامة على ما يكره الله خشية أن يحل بهم من العقاب ما لا يرد عن القوم المجرمين.

هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴿١٣﴾

يقول تعالى: (هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا)

أي: يخاف منه الصواعق و الهدم و أنواع الضرر،على بعض الثمار و نحوها

(وَطَمَعٗا)

و يطمع في خيره و نفعه،

(وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ)

بالمطر الغزير الذي به نفع العباد و البلاد.

***وَ يَخْلُقُهَا مُنْشَأَةً جَدِيدَةً، وَ هِيَ لِكَثْرَةِ مَائِهَا ثَقِيلَةٌ قَرِيبَةٌ إِلَى الْأَرْضِ.

(وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ)

و هو الصوت الذي يسمع من السحاب المزعج للعباد،

فهو خاضع لربه مسبح بحمده، (و) تسبح

***كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ} [الْإِسْرَاءِ: 44] .

2483 عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَقْبَلَتْ يَهُودُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ

فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّا نَسْأَلُكَ عَنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ،

فَإِنْ أَنْبَأْتَنَا بِهِنَّ، عَرَفْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَ اتَّبَعْنَاكَ،

فَأَخَذَ عَلَيْهِمْ مَا أَخَذَ إِسْرَائِيلُ عَلَى بَنِيهِ، إِذْ قَالُوا:

اللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ،

قَالَ: " هَاتُوا "

قَالُوا: أَخْبِرْنَا عَنْ عَلامَةِ النَّبِيِّ،

قَالَ: " تَنَامُ عَيْنَاهُ، وَلا يَنَامُ قَلْبُهُ "

قَالُوا: أَخْبِرْنَا كَيْفَ تُؤَنِّثُ الْمَرْأَةُ، وَكَيْفَ تُذْكِرُ؟

قَالَ: " يَلْتَقِي الْمَاءَانِ، فَإِذَا عَلَا مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ أَذْكَرَتْ،

وَإِذَا عَلَا مَاءُ الْمَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ آنَثَتْ "

قَالُوا: أَخْبِرْنَا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ؟

قَالَ: " كَانَ يَشْتَكِي عِرْقَ النَّسَا،

فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا يُلائِمُهُ إِلا أَلْبَانَ كَذَا وَكَذَا –

قَالَ أَبِي: " قَالَ بَعْضُهُمْ: يَعْنِي الْإِبِلَ " - فَحَرَّمَ لُحُومَهَا "

قَالُوا: صَدَقْتَ، قَالُوا: أَخْبِرْنَا مَا هَذَا الرَّعْدُ؟

قَالَ: " مَلَكٌ مِنْ مَلائِكَةِ اللهِ عَزّ وَجلّ مُوَكّلٌ بِالسّحَابِ بِيَدِهِ – أَوْ فِي يَدِهِ - مِخْرَاقٌ مِنْ نَارٍ، يَزْجُرُ بِهِ السّحَابَ، يَسُوقُهُ حَيْثُ أَمَرَ اللهُ "

قَالُوا: فَمَا هَذَا الصّوْتُ الّذِي نَسْمَعُ؟

قَالَ: " صَوْتُهُ "

قَالُوا: صَدَقْتَ، إِنّمَا بَقِيَتْ وَاحِدَةٌ وَهِيَ الّتِي نُبَايِعُكَ إِنْ أَخْبَرْتَنَا بِهَا، فَإِنّهُ لَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إِلا لَهُ مَلَكٌ يَأْتِيهِ بِالْخَبَرِ، فَأَخْبِرْنَا مَنْ صَاحِبُكَ؟

قَالَ: " جِبْرِيلُ عليه السلام"

قَالُوا: جِبْرِيلُ ذَاكَ الّذِي يَنْزِلُ بِالْحَرْبِ وَالْقِتَالِ وَالْعَذَابِ عَدُوّنَا، لَوْ قُلْتَ: مِيكَائِيلَ الّذِي يَنْزِلُ بِالرّحْمَةِ وَالنّبَاتِ وَالْقَطْرِ، لَكَانَ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزّ وَجَلّ: {مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ} [البقرة:97] إِلَى آخِرِ الْآيَةَ (1)

*** الجامع الصحيح للسنن والمسانيد**

قَالُوا: فَمَا هَذَا الصّوْتُ الّذِي يُسْمَعُ؟(1)

(قَالَ: " زَجْرُهُ السّحَابَ إِذَا زَجَرَهُ (1) حَتّى يَنْتَهِيَ إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُ "()

(حم) 2483 ، (ت) 3117

(إِذَا زَجَرَهُ) أَيْ: إِذَا سَاقَهُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا} يَعْنِي الْمَلَائِكَةَ تَزْجُرُ السَّحَابَ، أَيْ: تَسُوقُهُ. تحفة الأحوذي - (ج 7 / ص 444)

(ت) 3117

(وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ)

أي: خشعا لربهم خائفين من سطوته،

(وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ)

و هي هذه النار التي تخرج من السحاب،

(فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ)

***جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:**

عن ثابت عن أنس قال :-

بعث رسول الله ﷺ رجلا من أصحابه إلى رجل من عظماء الجاهلية

يدعوه إلى الله تبارك وتعالى

فقال أيش ربك الذي تدعوني إليه من حديد هو؟

من نحاس هو؟

من فضة هو؟

من ذهب هو؟ فأتى النبي ﷺ

فأخبره فأعاد النبي ﷺالثانية.

فقال مثل ذلك. فأرسله إليه الثالثة.

فقال مثل ذلك. فأتى النبي ﷺ

فأرسل الله تبارك وتعالى عليه صاعقة فأحرقته

فقال رسول الله ﷺ:

إن الله تبارك وتعالى قد أرسل على صاحبك صاعقة فأحرقته.

فنزلت هذه الآية: {وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ} .

(وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ)

من عباده بحسب ما شاءه و أراده

***يَشُكّون فِي عَظَمَتِهِ،

(وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ)

أي: شديد الحول و القوة فلا يريد شيئا إلا فعله،

و لا يتعاصى عليه شيء و لا يفوته هارب.

فإذا كان هو وحده الذي يسوق للعباد الأمطار و السحب التي فيها مادة أرزاقهم،

و هو الذي يدبر الأمور،

و تخضع له المخلوقات العظام التي يخاف منها،

و تزعج العباد و هو شديد القوة –

فهو الذي يستحق أن يعبد وحده لا شريك له.

و لهذا قال:

لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ
وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا
وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن
دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى
ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ
ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ
وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا
ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾
لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ
جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ
وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾

لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ
وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾

(لَهُۥ)أي: لله وحده

(دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ)

و هي: عبادته وحده لا شريك له،

1-و إخـــــلاص دعاء العبادة

2-و دعــــــاء المسألة له تعالى،

أي: هو الذي ينبغي أن يصـــــــرف له:-

الدعاء، و الخوف، و الرجاء، و الحب،و الرغبة، و الرهبة، و الإنابة؛

لأن ألوهيته هي الحق، و ألوهية غيره باطلة

(وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ)

من الأوثان و الأنداد التي جعلوها شركاء لله.

(لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ)

أي: لمن يدعوها و يعبدها بشيء قليل و لا كثير لا من أمور الدنيا

و لا من أمور الآخرة

(إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ)

الذي لا تناله كفاه لبعده،

(لِيَبۡلُغَ)

ببسط كفيه إلى الماء

(فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ)

فإنه عطشان و من شدة عطشه يتناول بيده،

و يبسطها إلى الماء الممتنع وصولها إليه، فلا يصل إليه.

■كذلك الكفار الذين يدعون معه آلهة لا يستجيبون لهم بشيء

و لا ينفعونهم في أشد الأوقات إليهم حاجة

لأنهم فقراء كما أن من دعوهم فقراء،

لا يملكون مثقال ذرة في الأرض و لا في السماء،

و ما لهم فيهما من شرك و ما له منهم من ظهير.

(وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ)

لبطلان ما يدعون من دون الله، فبطلت عباداتهم و دعاؤهم؛

لأن الوسيلة تبطل ببطلان غايتها،

و لما كان الله تعالى هو الملك الحق المبين،

كانت عبادته حقًّا متصلة النفع لصاحبها في الدنيا و الآخرة.

❍و تشبيه دعاء الكافرين لغير الله بالذي يبسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه من أحسن الأمثلة؛ فإن ذلك تشبيه بأمر محال،

فكما أن هذا محال، فالمشبه به محال،

و التعليق على المحال من أبلغ ما يكون في نفي الشيء

كما قال تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ)

وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۩ ﴿١٥﴾

(وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ)

أي: جميع ما احتوت عليه السماوات و الأرض كلها خاضعة لربها، تسجد له

(طَوۡعٗا)

فالطوع لمن يأتي بالسجود و الخضوع اختيارا كالمؤمنين،

(وَكَرۡهٗا)

و الكره لمن يستكبر عن عبادة ربه، و حاله و فطرته تكذبه في ذلك،

(وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ)

أي:و يسجد له ظلال المخلوقات أول النهار و آخره و سجود كل شيء

بحسب حاله كما قال تعالى:

(وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ)

***كَمَا قَالَ تَعَالَى: {أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَايِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ} [النَّحْلِ: 48] .

❍فإذا كانت المخلوقات كلها تسجد لربها طوعا و كرها كان هو الإله حقا

المعبود المحمود حقا و إلهية غيره باطلة،

و لهذا ذكر بطلانها و برهن عليه بقوله:

قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا

وَلَا ضَرًّاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ

أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ

قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾

(قُلۡ)

أي:لهؤلاء المشركين به أوثانا و أندادا يحبونها كما يحبون الله،

و يبذلون لها أنواع التقربات و العبادات:–

(مَن رَّبُّ)

*الميسر:خالق و مدبر

(ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ)

(قُلِ ٱللَّهُۚ)

*الميسر:هو الخالق المدبر

(قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم)

أفتاهت عقولكم حتى اتخذتم

(مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ)

تتولونهم بالعبادة و ليسوا بأهل لذلك؟

فإنهم (لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّاۚ)

و تتركون ولاية من هو كامل الأسماء و الصفات،

المالك للأحياء و الأموات، الذي بيده الخلق و التدبير و النفع و الضر؟

(قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ)

فما تستوي عبادة الله وحده، و عبادة المشركين به،

كما لا يستوي الأعمى و البصير، و كما لا تستوي الظلمات و النور.

(أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ)

و جعلوا له شركاء زعموا أنهم خلقوا كخلقه و فعلوا كفعله،

(فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ)

***الميسر:فتشابه عليهم خَلْق الشركاء بخلق الله، فاعتقدوا استحقاقهم للعبادة؟**

فإن كان عندهم شك و اشتباه:—

فأزلْ عنهم هذا الاشتباه و اللبس بالبرهان الدال على توحد الإله بالوحدانية،

فـــ(قُلِ) لهم:

(ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ)

فإنه من المُحال أن يَخْلُقَ شيء من الأشياء نفسه.

و من المُحال أيضا أن يوجد من دون خالق،

فتعين أن لها إلها خالقا لا شريك له في خلقه

لأنه (وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ)

فإنه لا توجد الوحدة و القهر إلا لله وحده،

فالمخلوقات و كل مخلوق فوقه مخلوق يقهره

ثم فوق ذلك القاهر قاهر أعلى منه،

حتى ينتهي القهر للواحد القهار(Î)

فالقهـــــر و التـــــوحيد متلازمان متعينان لله وحده،

فتبين بالدليل العقلي القاهر أن:-

ما يدعى من دون الله ليس له شيء من خلق المخلوقات

و بذلك كانت عبادته باطلة.

شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة (ص: 67)

وهو الذي قهر جميع الكائنات ، وذلَّت له جميع المخلوقات، ودانت لقدرته ومشيئته مواد وعناصر العالم العلوي والسفلي ، فلا يحدث حادث ولا يسكن ساكن إلا بإذنه،

وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وجميع الخلق فقراء إلى الله عاجزون ،

لا يملكون لأنفسهم نفعاً، و لا ضراً، و لا خيراً و لا شراً .

(أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ)

***الميسر:فجَرَت به أودية الأرض**

(بِقَدَرِهَا)

صغرها و كبرها،

(فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ)

***الميسر:فحمل السيل**

(زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ)

***الميسر:غثاء طافيًا فوقه لا نفع فيه**

❍شبّه تعالى الهدى الذي أنزله على رسوله لحياة القلوب و الأرواح،

بـــــالماء الذي أنزله لحياة الأشباح،

❍و شبّه ما في الهدى من النفع العام الكثير الذي يضطر إليه العباد،

بمـــــا في المطر من النفع العام الضروري،

❍و شبه القلوب الحاملة للهدى و تفاوتها

بـــــالأودية التي تسيل فيها السيول،

۞فواد كبير يسع ماء كثيرا، كقلب كبير يسع علما كثيرا،

۞و واد صغير يأخذ ماء قليلا كقلب صغير، يسع علما قليلا و هكذا.

***<u>الميسر:و ضرب مثلا آخر:-</u>**

(وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ)

هو المعادن يوقِدون عليها النار لصهرها طلباً للزينة كما في الذهب و الفضة،

(أَوۡ مَتَٰعٖ)

أو طلباً لمنافع ينتفعون بها كما في النحاس،

(زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ)

فيخرج منها خبثها مما لا فائدة فيه كالذي كان مع الماء،

○و شبه ما يكون في القلوب من الشهوات و الشبهات عند وصول الحق إليها

بـــــالزبد الذي يعلو الماء و يعلو ما يوقد عليه النار من الحلية التي يراد تخليصها و سبكها،

(فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ)

و أنها لا تزال فوق الماء طافية مكدرة له حتى تذهب و تضمحل،

(وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ)

و يبقى ما ينفع الناس من الماء الصافي و الحلية الخالصة.

○كذلك الشبهات و الشهوات لا يزال القلب يكرهها،

و يجاهدها بالبراهين الصادقة، و الإرادات الجازمة،

حتى تذهب و تضمحل و يبقى القلب خالصا صافيا

ليس فيه إلا ما ينفع الناس من العلم بالحق و إيثاره، و الرغبة فيه،

فالباطل يذهب و يمْحَقَهُ الحق

(إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا)

و قال هنا: (كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ)

ليتضح الحق من الباطل و الهدى و الضلال.

***الميسر:بمثل هذا يضرب الله المثل للحق و الباطل**

لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ

جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓۚ

أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ

وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾

لما بيّن تعالى الحق من الباطل ذكر أن الناس على قسمين:–

1–مستجيـــــــــب لربه، فذكر ثوابه،

2–و غير مستجيـــــــــب فذكر عقابه

فقال: (لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ)

أي: انقادت قلوبهم للعلم و الإيمان و جوارحهم للأمر و النهي،

و صاروا موافقين لربهم فيما يريده منهم،

فلهم (ٱلْحُسْنَىٰۚ)

أي: الحالة الحسنة و الثواب الحسن.

فلهم من الصفات أجلها و من المناقب أفضلها

و من الثواب العاجل و الآجل ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر،

*** كَمَا قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ أَنَّهُ قَالَ:

{قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا}

[الْكَهْفِ: 87، 88]

وَ قَالَ تَعَالَى: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يُونُسَ: 26] .

(وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ)

***لم يطيعوا الله

❍بعد ما ضرب لهم الأمثال و بَيَّن لهم الحق، لهم الحالة غير الحسنة،

فـــــ(لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا)

من ذهب و فضة و غيرها،

(وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ)

من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم و أنى لهم ذلك؟!!

(أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ)

و هو الحساب الذي يأتي على كل ما أسلفوه من عمل سيئ

و ما ضيعوه من حقوق الله و حقوق عباده قد كتب ذلك و سطر عليهم

و قالوا:(يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا)

***فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، أَيْ: يُنَاقَشُونَ عَلَى النَّقِيرِ وَ الْقِطْمِيرِ، وَ الْجَلِيلِ وَ الْحَقِيرِ، وَ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ؛

(و) بعد هذا الحساب السيئ

(وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ)

الجامعة لكل عذاب، من الجوع الشديد،

و العطش الوجيع، و النار الحامية و الزقوم و الزمهرير،

و الضريع و جميع ما ذكره الله من أصناف العذاب

(وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ)

أي: المقر والمسكن مسكنهم.

۞ أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ
بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ
وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا
رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا
وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ
عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ
مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ
يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ﴿٢٦﴾
وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ
مَنۡ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ
﴿٢٨﴾

۞ أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ
بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ
وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا

رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾

يقول تعالى: مفرقا بين أهل العلم و العمل و بين ضدهم:

(أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ)

ففهم ذلك و عمل به.

*** لَا يَسْتَوِي مَنْ يَعْلَمُ مِنَ النَّاسِ أَنَّ الَّذِي

{أُنزِلَ إِلَيۡكَ }

يَا مُحَمَّدُ

{ مِن رَّبِّكَ }

هوَ

{ٱلۡحَقُّ }

أَيِ: الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ وَ لَا مِرْيَةَ وَ لَا لَبْسَ فِيهِ وَ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ،
بَلْ هُوَ كُلُّهُ حَقٌّ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا،
لَا يُضَادُّ شَيْءٌ مِنْهُ شَيْئًا آخَرَ،
فَأَخْبَارُهُ كُلُّهَا حَقٌّ، وَ أَوَامِرُهُ وَ نَوَاهِيهِ عَدْلٌ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلا} [الْأَنْعَامِ: 115]

أَيْ: صِدْقًا فِي الْأَخْبَارِ، وَ عَدْلًا فِي الطَّلَبِ،
فَلَا يَسْتَوِي مِنْ تَحَقَّقَ صِدْقَ مَا جِئْتَ بِهِ يَا مُحَمَّدُ،

(كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ)

لا يعلم الحق و لا يعمل به فبينهما من الفرق كما بين السماء و الأرض،

فحقيق بالعبد أن يتذكر و يتفكر أي الفريقين أحسن حالا و خير مآلا

فيؤثر طريقها و يسلك خلف فريقها،

و لكن ما كل أحد يتذكر ما ينفعه و يضره.

*** لَا يَهْتَدِي إِلَى خَيْرٍ وَ لَا يَفْهَمُهُ، وَ لَوْ فَهِمَهُ مَا انْقَادَ لَهُ،
وَ لَا صَدَّقَهُ وَ لَا اتَّبَعَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:
{لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ}
[الْحَشْرِ: 20] وَ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ:
{أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى}
أَيْ: أَفَهَذَا كَهَذَا ؟ لَا اسْتِوَاءَ.

(إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ)

أي:أولو العقول الرزينة(((الصحيحة))) و الآراء الكاملة، الذين هم لُبّ العالم،

و صفوة بني آدم، فإن سألت عن وصفهم،

فلا تجد أحسن من وصف الله لهم بقوله:

(ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ)

الذي عهده إليهم و الذي عاهدهم عليه من القيام بحقوقه كاملة موفرة،

فالوفاء بها توفيتها حقها من التتميم لها، و النصح فيها

(و) من تمام الوفاء بها أنهم

(وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ)

أي: العهد الذي عاهدوا عليه الله،

فدخل في ذلك جميع المواثيق و العهود و الأيمان و النذور،

التي يعقدها العباد.

فلا يكون العبد من أولي الألباب الذين لهم الثواب العظيم،

إلا بأدائها كاملة، و عدم نقضها و بخسها.

***وَ لَيْسُوا كَالْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ إِذَا عَاهَدَ أَحَدُهُمْ غَدَرَ، وَ إِذَا خَاصَمَ فَجَرَ، وَ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، و إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ.

(وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ)

و هذا عام في كل ما أمر الله بوصله، مـــــــن:-

1-الإيمان به و برسوله، و محبته و محبة رسوله،

2-و الانقياد لعبادته وحده لا شريك له، و لطاعة رسوله.

3-و يصلون آباءهم و أمهاتهم ببرهم بالقول و الفعل و عدم عقوقهم،

4-و يصلون الأقارب و الأرحام، بالإحسان إليهم قولا و فعلا

5-و يصلون ما بينهم و بين الأزواج و الأصحاب و المماليك،

بأداء حقهم كاملا موفرا من الحقوق الدينية و الدنيوية.

و السبب الذي يجعل العبد واصلا ما أمر الله به أن يوصل،

خشية الله و خوف يوم الحساب،

و لهذا قال: (وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ)

***فِيمَا يَأْتُونَ وَ مَا يَذْرُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ، يُرَاقِبُونَ اللَّهَ فِي ذَلِكَ،
وَ يَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ.
فَلِهَذَا أَمْرُهُمْ عَلَى السَّدَادِ وَ الِاسْتِقَامَةِ فِي جَمِيعِ حَرَكَاتِهِمْ وَ سَكَنَاتِهِمْ
وَ جَمِيعِ أَحْوَالِهِمُ الْقَاصِرَةِ وَ الْمُتَعَدِّيَةِ.

(وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ)

أي: يخـــــافونه،

فيمنعهم خوفهـــــم منه، و من القدوم عليه يوم الحساب، أن:-

1-يتجـــــرؤوا على معاصي الله،

2-أو يقصروا في شيء مما أمر الله به

خـــــــوفا من العقاب

و رجـــــــــاء للثواب.

(وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ)

1-على المـــــأمورات بالامتثال،

2-و عن المنهيـــــات بالانكفاف عنها و البعد منها،

3-و على أقـــــدار الله المؤلمة بعدم تسخطها.

و لكن بشرط أن يكون ذلك الصبر

(ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ)

لا لغير ذلك من المقاصد و الأغراض الفاسدة،

فإن هذا هو الصبر النافع الذي يحبس به العبد نفسه،

طلبا لمرضاة ربه، و رجاء للقرب منه، و الحظوة بثوابه،

و هو الصبر الذي من خصائص أهل الإيمان،

و أما الصبر المشترك الذي غايته التجلد و منتهاه الفخر،

فهذا يصدر من البر و الفاجر، و المؤمن و الكافر،

فليس هو الممدوح على الحقيقة.

(وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ)

بأركانها و شروطها و مكملاتها ظاهرا و باطنا،

(وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ)

دخل في ذلك النفقات الواجبة كالزكوات و الكفارات و النفقات المستحبة

و أنهم ينفقون حيث دعت الحاجة إلى النفقة،

(سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ)

***فِي السِّرِّ وَ الْجَهْرِ، لَمْ يَمْنَعْهُمْ مِنْ ذَلِكَ حَالٌ مِنَ الْأَحْوَالِ،**

فِي آنَاءِ اللَّيْلِ وَ أَطْرَافِ النَّهَارِ،

(وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ)

أي: من أساء إليهم بقول أو فعل، لم يقابلوه بفعله،

بل قابلوه بالإحسان إليه.

فيعطون من حرمهم،

و يعفون عمن ظلمهم،

و يصلون من قطعهم،

و يحسنون إلى من أساء إليهم،

و إذا كانوا يقابلون المسيء بالإحسان، فما ظنك بغير المسيء؟!

***يَدْفَعُونَ الْقَبِيحَ بِالْحَسَنِ،
فَإِذَا آذَاهُمْ أَحَدٌ قَابَلُوهُ بِالْجَمِيلِ صَبْرًا وَ احْتِمَالًا وَ صَفْحًا وَ عَفْوًا،
كَمَا قَالَ تَعَالَى: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}
[فُصِّلَتْ: 34، 35]

(أُوْلَٰٓئِكَ)

الذين وصفت صفاتهم الجليلة و مناقبهم الجميلة

(لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ) فسرها بقوله:

(جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا)

أي: إقامة لا يزولون عنها، و لا يبغون عنها حولا؛

لأنهم لا يرون فوقها غاية لما اشتملت عليه من النعيم و السرور،

الذي تنتهي إليه المطالب والغايات.

و من تمام نعيمهم و قرة أعينهم أنهم

(وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ)

من الذكور و الإناث

(وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ)

أي الزوج أو الزوجة و كذلك النظراء و الأشباه، و الأصحاب و الأحباب،

فإنهم من أزواجهم و ذرياتهم،

***يُجْمَعُ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ أَحْبَابِهِمْ فِيهَا مِنَ الْآبَاءِ وَ الْأَهْلِينَ وَ الْأَبْنَاءِ،
مِمَّنْ هُوَ صَالِحٌ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِتَقَرَّ أَعْيُنُهُمْ بِهِمْ،
حَتَّى إِنَّهُ تُرْفَعُ دَرَجَةُ الْأَدْنَى إِلَى دَرَجَةِ الْأَعْلَى،
مِنْ غَيْرِ تَنْقِيصٍ لِذَلِكَ الْأَعْلَى عَنْ دَرَجَتِهِ، بَلِ امْتِنَانًا مِنَ اللَّهِ وَ إِحْسَانًا،
كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ} [الطُّوْرِ: 21]

(وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ)

يهنئونهم بالسلامة و كرامة الله لهم

و يقولون: (سَلَٰمٌ عَلَيْكُم)

أي: حلت عليكم السلامة و التحية من الله و حصلت لكم،

و ذلك متضمن لزوال كل مكروه، و مستلزم لحصول كل محبوب.

(بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ)

أي: صبركم هو الذي أوصلكم إلى هذه المنازل العالية، و الجنان الغالية،

(فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ)

***الميسر :لهم العاقبة المحمودة في الآخرة.**

Oفحقيق بمن نصح نفسه و كان لها عنده قيمة، أن يجاهدها،

لعلها تأخذ من أوصاف أولي الألباب بنصيب، لعلها تحظى بهذه الدار،

التي هـــــــي :-

1-منيـــــــة النفوس،

2-و ســـــــرور الأرواح الجامعة لجميع اللذات و الأفراح،

فلمثلها فليعمل العاملون

و فيها فليتنافس المتنافسون.

وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ٢٥

لما ذكر حال أهل الجنة ذكر أن أهل النار بعكس ما وصفهم به،

فقال عنهم: (وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ)

أي: من بعد ما أكده عليهم على أيدي رسله، و غلظ عليهم،

فلم يقابلوه بالانقياد و التسليم، بل قابلوه بالإعراض و النقص،

(وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ)

فلم يصلوا ما بينهم و بين ربهم بالإيمان و العمل الصالح،

و لا وصلوا الأرحام و لا أدوا الحقوق،

(وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۙ)

بل أفسدوا في الأرض بـــــــ:-

1-الكفـــــــر و المعاصي،

2-و الصـــد عن سبيل الله

3-و ابتغـــائها عوجـــــــا،

(أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ)

أي: البعد و الذم من الله و ملائكته و عباده المؤمنين،

(وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ)

و هي: الجحيم بما فيها من العذاب الأليم.

*** كَمَا ثَبَتَ فِي الْحَدِيث: "آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: -
إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَ إِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَ إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ"
وَ فِي رِوَايَةٍ: "وَ إِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَ إِذَا خَاصَمَ فَجر".

ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا

وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ﴿٢٦﴾

(ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ)

هو وحده يوسع الرزق و يبسطه على من يشاء

(وَيَقۡدِرُۚ)

و يقدره و يضيقه على من يشاء،

*** لِمَا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَ الْعَدْلِ.

(وَفَرِحُواْ)

أي: الكفار

(بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا)

فرحا أوجب لهم أن يطمئنوا بها، و يغفلوا عن الآخرة

و ذلك لنقصان عقولهم،

وَ فَرِحَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ بِمَا أُوتُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا اسْتِدْرَاجًا لَهُمْ وَ إِمْهَالًا

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَا يَشْعُرُونَ} [الْمُؤْمِنُونَ: 55، 56].

(وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ)

أي: شيء حقير يتمتع به قليلا و يفارق أهله و أصحابه و يعقبهم ويلا طويلا.

*** كَمَا قَالَ:{قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً} [النِّسَاءِ: 77]

وَ قَالَ{بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى} [الْأَعْلَى: 16، 17] .

***صحيح مسلم

(2858)عن المسْتَوْرِد، أَخَي بَنِي فِهْرٍ، يَقُولُ:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«وَ اللهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ - وَ أَشَارَ يَحْيَى بِالسَّبَّابَةِ - فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ؟» ( )

***صحيح مسلم

(2957)عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ،

أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺمَرَّ بِالسُّوقِ،

دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ، وَ النَّاسُ كَنَفَتَهُ،

فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ،

ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟»

فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَ مَا نَصْنَعُ بِهِ؟

قَالَ: «أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟»

قَالُوا: وَ اللهِ لَوْ كَانَ حَيًّا، كَانَ عَيْبًا فِيهِ، لِأَنَّهُ أَسَكُّ،

فَكَيْفَ وَ هُوَ مَيِّتٌ؟

فَقَالَ: «فَوَاللهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ، مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ»( )

(اليم) اليم هو البحر (بم يرجع) ضبطوا يرجع بالتاء وبالياء والأول أشهر ومن رواه بالياء أعاد الضمير إلى أحدكم وبالتاء أعاده على الإصبع وهو الأظهر ومعناه لا يعلق بها كثير شيء من الماء ومعنى الحديث ما الدنيا بالنسبة إلى الآخرة في قصر مدتها وفناء لذاتها ودوام الآخرة ودوام لذتها ونعيمها إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالإصبع إلى باقي البحر]

(كنفته) وفي بعض النسخ كنفتيه معنى الأول جانبه والثاني جانبيه

(جدي أسك) أي صغير الأذنين]

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾

(وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ)

يخبر تعالى أن الذين كفروا بآيات الله يتعنتون على رسول الله،

و يقترحون و يقولون:

(لَوۡلَآ)

***هلا

(أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۗ)

و بزعمهم أنها لو جاءت لآمنوا

*** كَمَا قَالُوا: {فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ} [الْأَنْبِيَاءِ: 5]

*** مسند أحمد مخرجا

2166 -عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَتْ قُرَيْشٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ:-
ادْعُ لَنَا رَبَّكَ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا الصَّفَا ذَهَبًا، وَ نُؤْمِنُ بِكَ،
قَالَ: «وَ تَفْعَلُونَ؟»
قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَدَعَا، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام
فَقَالَ: " إِنَّ رَبَّكَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ،
وَ يَقُولُ: إِنْ شِئْتَ أَصْبَحَ لَهُمُ الصَّفَا ذَهَبًا،
فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْهُمْ عَذَّبْتُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ،

وَ إِنْ شِئْتَ فَتَحْتُ لَهُمْ بَابَ التَّوْبَةِ وَ الرَّحْمَةِ "
قَالَ: «بَلْ بَابُ التَّوْبَةِ وَ الرَّحْمَةِ»

***وَ لِهَذَا قَالَ لِرَسُولِهِ: {قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ}
أَيْ: هُوَ الْمُضِلُّ وَ الْهَادِي، سَوَاءٌ بَعَثَ الرَّسُولَ بِآيَةٍ عَلَى وَفْقِ مَا اقْتَرَحُوا،
أَوْ لَمْ يُجِبْهُمْ إِلَى سُؤَالِهِمْ؛
فَإِنَّ الْهِدَايَةَ وَ الْإِضْلَالَ لَيْسَ مَنُوطًا بِذَلِكَ وَ لَا عَدَمِهِ،
كَمَا قَالَ: {وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ} [يُونُسَ: 101]
وَ قَالَ {إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ} [يُونُسَ: 96، 97]
وَ قَالَ{وَلَوْ أَنَّنَا نزلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ}
[الْأَنْعَامِ: 111]

❍فأجابهم الله بقــــــوله:-

(قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ)

أي: طلب رضوانه، فليست الهداية و الضلال بأيديهم
حتى يجعلوا ذلك متوقفا على الآيات، و مع ذلك فهم كاذبون،

(وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ)

و لا يلزم أن يأتي الرسول بالآية التي يعينونها و يقترحونها،

بل إذا جاءهم بآية تبين ما جاء به من الحق، كفى ذلك و حصل المقصود،

و كان أنفع لهم من طلبهم الآيات التي يعينونها،

فإنها لو جاءتهم طبق ما اقترحوا فلم يؤمنوا بها لعاجلهم العذاب.

ثم ذكر تعالى علامة المؤمنين فقال:

(ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ)

أي: يزول قلقها و اضطرابها، و تحضرها أفراحها و لذاتها.

(أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ)

أي: حقيق بها و حريٌّ أن لا تطمئن لشيء سوى ذكره،

فإنه لا شيء ألذ للقلوب و لا أشهى و لا أحلى من محبة خالقها،

و الأنس به و معرفته،

❍و على قدر معرفتها بالله و محبتها له، يكون ذكرها له،

هذا على القول بأن ذكر الله، ذكر العبد لربه، مـــــــن:-

تسبيـــــــح و تهليـــــل و تكبيــــــر و غير ذلك.

❍و قيل: إن المراد بذكر الله كتابه الذي أنزله ذكرى للمؤمنين،

فعلى هذا معنى طمأنينة القلوب بذكر الله: -

أنها حين تعرف معاني القرآن و أحكامه تطمئن لها،

فإنها تدل على الحق المبين المؤيد بالأدلة و البراهين،

و بذلك تطمئن القلوب، فإنها لا تطمئن القلوب إلا باليقين و العلم،

و ذلك في كتاب الله، مضمون على أتم الوجوه و أكملها،

و أما ما سواه من الكتب التي لا ترجع إليه فلا تطمئن بها،

بل لا تزال قلقة من تعارض الأدلة و تضاد الأحكام.

(وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا)

و هذا إنما يعرفه من خبر كتاب الله و تدبره،

و تدبر غيره من أنواع العلوم، فإنه يجد بينها و بينه فرقا عظيما.

ثم قال تعالى:

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ
أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ
هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ
قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ
يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ
قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن
قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ
نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلۡ سَمُّوهُمۡۚ أَمۡ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَم بِظَٰهِرٖ
مِّنَ ٱلۡقَوۡلِۗ بَلۡ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾
لَّهُمۡ عَذَابٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴿٣٤﴾

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾

(ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ)

أي: آمنوا بقلوبهم بالله و ملائكته، و كتبه و رسله و اليوم الآخر،

(وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ)

و صدقوا هذا الإيمان بالأعمال الصالحة،

أعمال القلوب كـــــــ:-

محبـــــــة الله و خشيتـــــــه و رجـــــائه،

<u>و أعمال الجوارح كـــــــ:</u>

الصـــــــلاة و نحـــــوها.

(طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ)

أي: لهم حالة طيبة و مرجع حسن.

و ذلك بما ينالون من رضوان الله و كرامته في الدنيا و الآخرة،

و أن لهم كمال الراحة و تمام الطمأنينة،

❍و من جملة ذلك شجرة طوبى التي في الجنة،

التي يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها،

كما وردت بها الأحاديث الصحيحة.

*** سنن الترمذي ت بشار

2541 - عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِﷺ
وَ ذَكَرَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى،
قَالَ: يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّ الفَنَنِ مِنْهَا مِائَةَ سَنَةٍ،
أَوْ يَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا مِائَةُ رَاكِبٍ،
شَكَّ يَحْيَى، فِيهَا فِرَاشُ الذَّهَبِ كَأَنَّ ثَمَرَهَا الْقِلاَلُ.

*** صحيح البخاري

6552 - عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺقَالَ:
«إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَشَجَرَةً، يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لاَ يَقْطَعُهَا»

كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ:

(كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ)

إلى قومك تدعوهم إلى الهدى

(قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ)

أرسلنا فيهم رسلنا، فلست ببدع من الرسل حتى يستنكروا رسالتك،

و لست تقول من تلقاء نفسك،

(لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ)

بل تتلو عليهم آيات الله التي أوحاها الله إليك التي تطهر القلوب و تزكي النفوس.

***وَ كَمَا أَوْقَعْنَا بَأْسَنَا وَ نِقْمَتَنَا بِأُولَئِكَ،
فَلْيَحْذَرْ هَؤُلَاءِ مِنْ حُلُولِ النِّقَمِ بِهِمْ،
فَإِنَّ تَكْذِيبَهُمْ لَكَ أَشَدُّ مِنْ تَكْذِيبِ غَيْرِكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُالشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النَّحْلِ: 63]

وَ قَالَ تَعَالَى: {وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ}

[الْأَنْعَام: 34]
أَيْ: كَيْفَ نَصَرْنَاهُمْ، وَ جَعَلْنَا الْعَاقِبَةَ لَهُمْ وَ لِأَتْبَاعِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ.

(وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِۚ)

و الحال أن قومك يكفرون بالرحمن،

فلم يقابلوا رحمته و إحسانه – التي أعظمها أن:-

1-أرسلنـــــــاك إليهم رسولا

2-و أنزلنـــــا عليك كتابا

- بالقبول و الشكر بل قابلوه ـــــــا

بالإنكــــــار و الـــــرد،

أفلا يعتبرون بمن خلا من قبلهم من القرون المكذبة كيف أخذهم الله بذنوبهم،

***هَذِهِ الْأُمَّةُ الَّتِي بَعَثْنَاكَ فِيهِمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ،
لَا يُقِرُّونَ بِهِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَأْنَفُونَ مِنْ وَصْفِ اللَّهِ بِالرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ؛
وَ لِهَذَا أَنِفُوا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ أَنْ يَكْتُبُوا "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"
وَ قَالُوا: مَا نَدْرِي مَا الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. قَالَهُ قَتَادَةُ،
وَ الْحَدِيثُ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ
وَ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} [الْإِسْرَاءِ: 110]
وَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
"إِنَّ أَحَبَّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ.

(قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ)

و هذا متضمن للتوحيدين توحيد الألوهية و توحيد الربوبية.

فهو ربي الذي رباني بنعمه منذ أوجدني،

و هو إلهي الذي (عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ)

في جميع أموري

(وَإِلَيۡهِ مَتَابِ)

أي: أرجع في جميع عباداتي و في حاجاتي.

وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٣١﴾

يقول تعالى مبينا فضل القرآن الكريم على سائر الكتب المنزلة:

(وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا)

من الكتب الإلهية

(سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ)

عن أماكنها

(أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ)

جنانا و أنهارا

(أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ)

لكان هذا القرآن.

(بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ)

فيأتي بالآيات التي تقتضيها حكمته،

فما بال المكذبين يقترحون من الآيات ما يقترحون؟

فهل لهم أو لغيرهم من الأمر شيء؟.

(أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۗ)

***الميسر:أفلم يعلم المؤمنون أن الله لو يشاء لآمن أهل الأرض كلهم من غير معجزة؟**

❍فليعلموا أنه قادر على هدايتهم جميعا و لكنه لا يشاء ذلك،

بل يهدي من يشاء، و يضل من يشاء

*****صحيح البخاري**

4981 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ،

وَ إِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ،

فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ»( )

(أعطي ما مثله آمن عليه البشر) أجري على يديه من المعجزات الشيء الذي يقتضي إيمان من شاهدها بصدق دعواه لأنها من خوارق العادات حسب زمانه ومكانه.

(وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ)

***الميسر:و لا يزال الكفار تنزل بهم مصيبة بسبب كفرهم كالقتل و الأسر في غزوات المسلمين،**

(أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمۡ)

***الميسر:أو تنزل تلك المصيبة قريبًا من دارهم،**

○على كفرهم، لا يعتبرون و لا يتعظون،

و الله تعالى يوالي عليهم القوارِع التي تصيبهم في ديارهم أو تحل قريبا منها، و هم مصرون على كفرهم

***كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الْأَحْقَافِ: 27]

وَ قَالَ {أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ} [الْأَنْبِيَاءِ: 44] .

(حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ)

الذي وعدهم به، لنزول العذاب المتصل الذي لا يمكن رفعه،

(إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ)

(أوتيته) المعجزة التي أعطيتها. (وحيا) قرآنا موحى به من الله تعالى يبقى إعجازه على مر الأزمان ولذلك يكثر المؤمنون به ويوم القيامة يكون أتباعه العاملون بشريعته المنزلة أكثر من الأتباع العاملين بالشرع الحق لكل نبي]

و هذا تهديد لهم و تخويف من نزول ما وعدهم الله به على كفرهم و عنادهم و ظلمهم.

***{فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ} [إِبْرَاهِيمَ: 47] .

وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾

يقول تعالى لرسوله – مثبتا له و مسليا–

(وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ)

فلست أول رسول كذب و أوذي

(فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟)

برسلهم أي: أمهلتهم مدة حتى ظنوا أنهم غير معذبين.

(ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ)

بأنواع العذاب

***كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ} [الحج: 48]

***صحيح البخاري

4686 - عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ»

قَالَ:ثُمَّ قَرَأَ:{وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ}

[هود: 102]

(فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ)

كان عقابا شديدا و عذابا أليما،

فلا يغتر هؤلاء الذين كذبوك و استهزؤوا بك بإمهالنا،

فلهم أسوة فيمن قبلهم من الأمم،

فليحذروا أن يفعل بهم كما فعل بأولئك.

أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾

يقول تعالى: (أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ)

بالجزاء العاجل و الآجل، بالعدل و القسط،

و هو الله تبارك و تعالى كمن ليس كذلك؟

و لهذا قال: (وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ)

و هو الله الأحد الفرد الصمد، الذي لا شريك له و لا ند و لا نظير

(قُلْ) لهم إن كانوا صادقين:

(سَمُّوهُمۡۚ)

لتعلم حالهم

(أَمۡ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلۡأَرۡضِ)

***الميسر:أم تخبرون الله بشركاء في أرضه لا يعلمهم،**

فإنه إذا كان عالم الغيب والشهادة و هو لا يعلم له شريكا،

علم بذلك بطلان دعوى الشريك له،

و أنكم بمنزلة الذي يُعَلِّمُ الله أن له شريكا و هو لا يعلمه،

و هذا أبطل ما يكون؛

و لهذا قال: (أَم بِظَٰهِرٖ مِّنَ ٱلۡقَوۡلِۗ)

***الميسر:أم تسمونهم شركاء بظاهر من اللفظ من غير أن يكون لهم حقيقة.**

أي: غاية ما يمكن من دعوى الشريك له تعالى أنه بظاهر أقوالكم.

و أما في الحقيقة، فلا إله إلا الله،

و ليس أحد من الخلق يستحق شيئا من العبادة،

و لكن (بَلۡ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ)

***الميسر:بل حسّن الشيطان للكفار قولهم الباطل**

الذي مكروه و هو كفرهم و شركهم، و تكذيبهم لآيات الله

***مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الضلال و الدعوة إليه آنَاءَ اللَّيْلِ وَ أَطْرَافَ النَّهَارِ

***كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ} [فُصِّلَتْ: 25] .

(وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ)

أي: عن الطريق المستقيمة الموصلة إلى الله و إلى دار كرامته،

(وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ)

***الميسر:و مَن لم يوفِّقه الله لهدايته فليس له أحد يهديه، و يوفقه إلى الحق و الرشاد.**

❍لأنه ليس لأحد من الأمر شيء.

***وَ لِهَذَا قَالَ: {وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ}

كَمَا قَالَ {وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا} [الْمَائِدَةِ: 41]

وَ قَالَ{إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} [النَّحْلِ: 37] .

(لَّهُمۡ عَذَابٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ)

من عذاب الدنيا لشدته و دوامه

(وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ)

يقيهم من عذاب الله، فعذابه إذا وجهه إليهم لا مانع منه.

۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾

۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾

يقول تعالى: (مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ)

الذين تركوا ما نهاهم الله عنه، و لم يقصروا فيما أمرهم به، أي:

صفتها و حقيقتها

(تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ)

أنهار العسل، و أنهار الخمر، و أنهار اللبن، و أنهار الماء التي تجري في غير أخدود،

فتسقى تلك البساتين و الأشجار فتحمل من جميع أنواع الثمار.

*** صحيح البخاري

748 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:-
خَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَصَلَّى، قَالُوا:-
يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ،
ثُمَّ رَأَيْنَاكَ تَكَعْكَعْتَ،
قَالَ: «إِنِّي أُرِيتُ الجَنَّةَ، فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا عُنْقُودًا،
وَ لَوْ أَخَذْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا»( )

***كَمَا قَالَ تَعَالَى: {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ} [محمد: 15] .

(أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ)

(تكعكعت) تأخرت إلى الوراء

دائم أيضا،

***وَ قَدْ قَالَ تَعَالَى: {وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ}
[الْوَاقِعَةِ: 32، 33]

وَ قَالَ {وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلا} [الْإِنْسَانِ: 14] .

***وَ كَذَلِكَ ظِلُّهَا لَا يَزُولُ وَ لَا يَقْلِصُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلا ظَلِيلا} [النِّسَاءِ: 57]

***وَ قَدْ تَقَدَّمَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:
إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً، يَسِيرُ الرَّاكِبُ الْمُجِدُّ الْجَوَادَ الْمُضَمَّرَ السَّرِيعَ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا"،

ثُمَّ قَرَأَ: {وَظِلٍّ مَمْدُودٍ} [الْوَاقِعَةِ: 30] .

(تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ)

أي: عاقبتهم و مآلهم التي إليها يصيرون،

(وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ)

فكم بين الفريقين من الفرق المبين؟!!

***كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ}
[الْحَشْرِ: 20].

وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ

قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾

يقول تعالى: (وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ)

أي: مننًا عليهم به و بمعرفته،

(يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ)

فيؤمنون به و يصدقونه، و يفرحون بموافقة الكتب بعضها لبعض،

و تصديق بعضها بعضا و هذه حال من آمن من أهل الكتابين،

***مِنَ الْقُرْآنِ لِمَا فِي كُتُبِهِمْ مِنَ الشَّوَاهِدِ عَلَى صِدْقِهِ وَ الْبِشَارَةِ بِهِ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى:{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [الْبَقَرَةِ: 121]

وَ قَالَ تَعَالَى:{قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولا} [الْإِسْرَاءِ: 107، 108]

أَيْ: إِنْ كَانَ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ بِهِ فِي كُتُبِنَا مِنْ إِرْسَالِ مُحَمَّدٍ ﷺ لَحَقًّا وَ صِدْقًا مَفْعُولًا لَا مَحَالَةَ، وَ كَائِنًا، فَسُبْحَانَهُ مَا أَصْدَقَ وَعْدَهُ،

فَلَهُ الْحَمْدُ وَحْدَهُ{وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا}[الْإِسْرَاءِ: 109]

(وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥۚ)

أي: و من طوائف الكفار المنحرفين عن الحق،

من ينكر بعض هذا القرآن و لا يصدقه.

(فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا)

إنما أنت يا محمد منذر تدعوا إلى الله،

***الْيَهُودِ وَ النَّصَارَى، مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ مَا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ.

وَ هَذَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [آلِ عِمْرَانَ: 199] .

(قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ)

أي: بإخلاص الدين لله وحده،

(إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ)

أي: مرجعي الذي أرجع به إليه

فيجازيني بما قمت به من الدعوة إلى دينه و القيام بما أمرت به.

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾

(وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّاۚ)

أي:و لقد أنزلنا هذا القرآن و الكتاب حكما، عربيا أي:

محكما متقنا، بأوضح الألسنة و أفصح اللغات،

لئلا يقع فيه شك و اشتباه، و ليوجب أن يتبع وحده،

و لا يداهن فيه، و لا يتبع ما يضاده و يناقضه من أهواء الذين لا يعلمون.

و لهذا توعد رسوله – مع أنه معصوم– ليمتن عليه بعصمته

و لتكون أمته أسوته في الأحكام

فقال: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾

البين الذي ينهاك عن اتباع أهوائهم،

﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾

يتولاك فيحصل لك الأمر المحبوب،

﴿وَلَا وَاقٍ﴾

يقيك من الأمر المكروه.

***وَ هَذَا وَعِيدٌ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يَتَّبِعُوا سُبُلَ أَهْلِ الضَّلَالَةِ بَعْدَمَا صَارُوا إِلَيْهِ مَنْ سُلُوكِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ وَ الْمَحَجَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ،
عَلَى مَنْ جَاءَ بِهَا أَفْضَلُ الصلاة و السلام

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾

أي: لست أول رسول أرسل إلى الناس حتى يستغربوا رسالتك،

(وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗۚ)

فلا يعيبك أعداؤك بأن يكون لك أزواج و ذرية، كما كان لإخوانك المرسلين،

فلأي شيء يقدحون فيك بذلك و هم يعلمون أن الرسل قبلك كذلك؛

إلا لأجل أغراضهم الفاسدة و أهوائهم؟

و إن طلبوا منك آية اقترحوها فليس لك من الأمر شيء.

***وَ كَمَا أَرْسَلْنَاكَ، يَا مُحَمَّدُ، رَسُولًا بَشَرِيًّا كَذَلِكَ قَد بَعَثْنَا الْمُرْسَلِينَ قَبْلَكَ بَشَرًا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ، وَ يَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَ يَأْتُونَ الزَّوْجَاتِ،
وَ يُولَدُ لَهُمْ، وَ جَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذَرِّيَّةً،
وَ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِأَشْرَفِ الرُّسُلِ وَ خَاتَمِهِمْ:
{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ} [الْكَهْفِ: 110] .

***صحيح البخاري
5063 - عن أَنَس بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ:
جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ
فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا،
فَقَالُوا:وَ أَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟
قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَ مَا تَأَخَّرَ،
قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا،
وَ قَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَ لاَ أُفْطِرُ،
وَ قَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا،
فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺإِلَيْهِمْ،
فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا،

أَمَا وَ اللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَ أَتْقَاكُمْ لَهُ،
لَكِنِّي أَصُومُ وَ أُفْطِرُ، وَ أُصَلِّي وَ أَرْقُدُ، وَ أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ،
فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»

(وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ)

و الله لا يأذن فيها إلا في وقتها الذي قدره و قضاه،

(لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ)

لا يتقدم عليه و لا يتأخر عنه،

فليس استعجالهم بالآيات أو بالعذاب موجبا

لأن يقدم الله ما كتب أنه يؤخر مع أنه تعالى فعال لما يريد.

***لِكُلِّ مُدَّةٍ مَضْرُوبَةٍ كِتَابٌ مَكْتُوبٌ بِهَا، وَ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ،

{أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [الْحَجِّ: 70]

(يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ)

من الأقدار

(وَيُثْبِتُ)

***الميسر:** و يُبْقِي ما يشاء منها لحكمة يعلمها،**

ما يشاء منها،

و هذا المحو و التغيير في غير ما سبق به علمه و كتبه قلمه

فإن هذا لا يقع فيه تبديل و لا تغيير

لأن ذلك محال على الله، أن يقع في علمه نقص أو خلل

**يُدَبِّرُ أَمْرَ السَّنَةِ،فَيَمْحُو مَا يَشَاءُ،إِلَّا الشَّقَاءَ وَ السَّعَادَةَ،وَ الْحَيَاةَ وَ الْمَوْتَ.

وَ فِي رِوَايَةٍ: {يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ}

قَالَ:كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الْحَيَاةَ وَ الْمَوْتَ،وَ الشَّقَاءَ وَ السَّعَادَةَ

فَإِنَّهُمَا قَدْ فُرِغَ مِنْهُمَا.

وَ قَالَ مُجَاهِدٌ: {يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ}

إِلَّا الْحَيَاةَ وَ الْمَوْتَ، وَ الشَّقَاءَ وَ السَّعَادَةَ، فَإِنَّهُمَا لَا يَتَغَيَّرَانِ.

و لهذا قال: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾

أي: اللوح المحفوظ الذي ترجع إليه سائر الأشياء، فهو أصلها،

و هي فروع له و شعب.

فالتغيير و التبديل يقع في الفروع و الشعب،

كأعمال اليوم و الليلة التي تكتبها الملائكة،

و يجعل الله لثبوتها أسبابا و لمحوها أسبابا،

لا تتعدى تلك الأسباب، ما رسم في اللوح المحفوظ،

كما جعل الله البر و الصلة و الإحسان من أسباب طول العمر و سعة الرزق،

و كما جعل المعاصي سببا لمحق بركة الرزق و العمر

و كما جعل أسباب النجاة من المهالك و المعاطب سببا للسلامة،

و جعل التعرض لذلك سببا للعطب،

فهو الذي يدبر الأمور بحسب قدرته و إرادته،

و ما يدبره منها لا يخالف ما قد علمه و كتبه في اللوح المحفوظ.

وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ ﴿٤٠﴾

أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِى ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ

وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٤١﴾

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ:

لا تعجل عليهم بإصابة ما يوعدون به من العذاب،

فهم إن استمروا على طغيانهم و كفرهم فلا بد أن يصيبهم ما وعدوا به،

(وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمۡ)

إياه في الدنيا فتقر بذلك عينك،

(أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ)

قبل إصابتهم فليس ذلك شغلا لك

(فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ)

و التبيين للخلق.

(وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ)

فنحاسب الخلق على ما قاموا به، مما عليهم، و ضيعوه، و نثيبهم أو نعاقبهم.

ثم قال متوعدا للمكذبين

(أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ)

***الميسر:و ذلك بفتح المسلمين بلاد المشركين**

و إلحاقها ببلاد المسلمين؟

Oقيل بإهلاك المكذبين و استئصال الظالمين،

و قيل: بفتح بلدان المشركين، و نقصهم في أموالهم و أبدانهم،

و قيل غير ذلك من الأقوال.

و الظاهر – والله أعلم– أن المراد بذلك أن أراضي هؤلاء المكذبين جعل الله

يفتحها و يجتاحها،

و يحل القوارِع بأطرافها، تنبيها لهم قبل أن يجتاحهم النقص،

و يوقع الله بهم من القوارِع ما لا يرده أحد،

*****كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى} [الْأَحْقَافِ:27]**

و لهذا قال: (وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ)

و يدخل في هذا حكمه الشرعي و القدري و الجزائي.

فهذه الأحكام التي يحكم الله فيها، توجد في غاية الحكمة و الإتقان،

لا خلل فيها و لا نقص، بل هي مبنية على القسط و العدل و الحمد،

(لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ)

فلا يتعقبها أحد و لا سبيل إلى القدح فيها،

بخلاف حكم غيره فإنه قد يوافق الصواب و قد لا يوافقه،

﴿وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾

أي: فلا يستعجلوا بالعذاب فإن كل ما هو آت، فهو قريب.

﴿وَقَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗاۖ يَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٖۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٤٢﴾

يقول تعالى: ﴿وَقَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾

برسلهم و بالحق الذي جاءت به الرسل،

فلم يغن عنهم مكرهم و لم يصنعوا شيئا فإنهم يحاربون الله و يبارزونه،

﴿فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗاۖ﴾

أي:لا يقدر أحد أن يمكر مكرا إلا بإذنه، و تحت قضائه و قدره،

فإذا كانوا يمكرون بدينه فإن مكرهم سيعود عليهم بالخيبة و الندم،

فإن الله ﴿يَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٖۗ﴾

أي: همومها و إراداتها و أعمالها الظاهرة و الباطنة.

و المكر لا بد أن يكون من كسبها فلا يخفى على الله مكرهم

فيمتنع أن يمكروا مكرا يضر الحق و أهله و يفيدهم شيئا

﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾

أي: ألهم أو لرسله؟

و من المعلوم أن العاقبة للمتقين لا للكفر و أعماله.

كيف يمكن للأرض أن تتناقص كما قال تعالى:

(ننقصها من أطرافها)

الرابط

إن الذي ينظر للأرض من الخارج يراها كرة مستديرة و لا يكاد يحسّ بأي فرق بين أقطارها.
و لكن القياسات الحديثة بينت أن هنالك نقصاناً في قطر الأرض عند القطبين.
فقطر الأرض عند خط الاستواء يزيد على قطرها عند القطبين بحدود (43) كيلو متراً تقريباً،
فما هو سرّ هذا التناقص،
و هل هو ثابت أم يتغير مع الزمن ولماذا؟
هذه التساؤلات و غيرها كانت الشغل الشاغل لعلماء الأرض على مدى القرن العشرين.
فالأرض تدور حول نفسها بسرعة كبيرة تتجاوز الـ (1600) كيلو متراً في الساعة!
و تدور حول الشمس بسرعة هائلة تتجاوز المئة ألف كيلو متراً في الساعة!
هذا الدوران المستمر على مرّ آلاف الملايين من السنين يؤدي إلى انكماش الأرض
و تناقص قطرها عند القطبين بسبب القوة النابذة الهائلة المتولدة عند خط الاستواء.
لذلك نجد شكل الأرض بيضاويا و ليس تام الاستدارة.
إن التناقص في قطر الأرض عند طرفيها (القطبين) يتم بمعدل مليمترات كل سنة!
هذه المسافة الدقيقة لا يمكن قياسها مباشرة.
و لكن تم استنتاجها من خلال الحسابات والأرقام.
فهل في كتاب الله حديث عن نقصان الأرض من أطرافها باستمرار؟
يقول عز وجل في محكم الذكر مخاطباً هؤلاء المشككين بصدق القرآن
و يبين لهم حقيقة علمية هم الذين كشفوها:

(أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها) **[الأنبياء: 44].**

و تأمل معي كلمة (ننقصها) التي تعطي معنى الاستمرار.

فالأرض كانت تنقص من أطرافها و هي مستمرة في التناقص.

- **و حدَّد القرآن هذا التناقص عند أطراف الأرض عند القطبين المتجمدين الشمالي و الجنوبي. هنالك كثير من التناقص في الأرض،**

فالكرة الأرضية تنفث ملايين الأطنان من فوهات البراكين،

و يتسرب جزء منها إلى خارج الغلاف الجوي و هذا نقصان في وزن الأرض باستمرار.

- **هنالك نقصان آخر في قمم الجبال التي تنقص باستمرار بفعل العوامل الجوية كالرياح.**
- **كذلك يمارس البحر دوره في الحتّ لشواطئه فتتآكل هذه الشواطئ باستمرار و تتناقص. و هذا يعد نقصاناً للأرض من أطراف اليابسة.**
- **هنالك نقصان آخر في سرعة دوران الأرض.**

فعند بداية خلق الأرض كانت أكبر من حجمها الحالي بمئتي ضعف تقريباً،

و كانت أسرع بعدة مرات.

- **و هنالك سلسلة من التناقص الأرضية من حيث المادة و الطاقة و المجال المغنطيسي الأرضي و غير ذلك.**

إذن هذه الآية شاملة لجميع أنواع النقصان الأرضي،

و هذا يدل على أن المصطلحات العلمية القرآنية شاملة و تراعي تطور العلم فكلما جدَّ جديد في كشوفات العلم اتضحت أمامنا تفسيرات جديدة للآية لم نكن نعلمها من قبل.

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾

سورة إبراهيم عليه السلام و هي مكية-بسم الله الرحمن الرحيم

الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴿٥﴾

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾

(وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗا)

أي: يكذبونك و يكذبون ما أرسلت به

(قُلْ) لهم – إن طلبوا على ذلك شهيدا:

(كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ)

و شهادته بقوله و فعله و إقراره،

أما قـــــوله:–

فبما أوحاه الله إلى أصدق خلقه مما يثبت به رسالته.

و أما فعـــــله:–

فلأن الله تعالى أيد رسوله و نصره نصرا خارجا عن قدرته و قدرة أصحابه و أتباعه

و هذا شهادة منه له بالفعل و التأييد.

و أما إقـــــراره:–

فإنه أخبر الرسول عنه أنه رسوله،

و أنه أمر الناس باتباعه، فمن اتبعه فله رضوان الله و كرامته،

و من لم يتبعه فله النار و السخط و حل له ماله و دمه و الله يقره على ذلك،

فلو تقول عليه بعض الأقاويل لعاجله بالعقوبة.

(وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ)

و هذا شامل لكل علماء أهل الكتابين،

فإنهم يشهدون للرسول من آمن و اتبع الحق،

صرح بتلك الشهادة التي عليه،

و من كتم ذلك فإخبار الله عنه أن عنده شهادة أبلغ من خبره

و لو لم يكن عنده شهادة لرد استشهاده بالبرهان،

فسكوته يدل على أن عنده شهادة مكتومة.

و إنما أمر الله باستشهاد أهل الكتاب لأنهم أهل هذا الشأن،

و كل أمر إنما يستشهد فيه أهله ومن هم أعلم به من غيرهم،

بخلاف من هو أجنبي عنه، كالأميين من مشركي العرب و غيرهم،

فلا فائدة في استشهادهم لعدم خبرتهم و معرفتهم و الله أعلم.

تم تفسير سورة الرعد ،و الحمد لله رب العالمين.

تفسير سورة إبراهيم عليه السلام،و هي مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ﴿٣﴾

(الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ)

يخبر تعالى أنه أنزل كتابه على رسوله محمد ﷺ لنفع الخلق،

ليخرج الناس من ظلمات الجهل و الكفر و الأخلاق السيئة و أنواع المعاصي إلى نور العلم و الإيمان و الأخلاق الحسنة،

و قوله: ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ﴾

أي: لا يحصل منهم المراد المحبوب لله، إلا بإرادة من الله و معونة،

ففيه حث للعباد على الاستعانة بربهم.

ثم فسر النور الذي يهديهم إليه هذا الكتاب

فقال: ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ﴾

أي: الموصل إليه و إلى دار كرامته، المشتمل على العلم بالحق و العمل به،

و في ذكر ﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾

بعد ذكر الصراط الموصل إليه إشارة إلى أن من سلكه فهـــــــو

عزيز بعز الله قوي

و لو لم يكن له أنصار إلا الله،

محمود في أموره، حَسَنُ العاقبة.

و ليدل ذلك على أن صراط الله من أكبر الأدلة على ما لله من صفات الكمال، و نعوت الجلال، و أن الذي نصبه لعباده، عزيز السلطان،

﴿ٱلۡحَمِيدِ﴾

حميد في أقواله و أفعاله و أحكامه،

و أنه مألوه معبود بالعبادات التي هي منازل الصراط المستقيم،

و أنه كما أن له ملك السماوات و الأرض خلقا و رزقا و تدبيرا،

فله الحكم على عباده بأحكامه الدينية، لأنهم ملكه،

و لا يليق به أن يتركهم سدى

(ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِۗ)

فلما بيَّن الدليل و البرهان توعد من لم ينقد لذلك،

فقال: (وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ)

لا يقدر قدره، و لا يوصف أمره،

ثم وصفهم بأنهم(ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ)

فرضوا بها و اطمأنوا، و غفلوا عن الدار الآخرة.

(وَيَصُدُّونَ)

الناس

(عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ)

التي نصبها لعباده و بينها في كتبه و على ألسنة رسله

فهؤلاء قد نابذوا مولاهم بالمعاداة و المحاربة،

(وَيَبۡغُونَهَا)

أي: سبيل الله

(عِوَجًاۚ)

أي: يحرصون على تهجينها و تقبيحها، للتنفير عنها،

و لكن يأبى الله إلا أن يتم نوره و لو كره الكافرون.

(أُوْلَٰٓئِكَ)

الذين ذكر وصفهم

(فِي ضَلَٰلِۢ بَعِيدٖ)

لأنهم ضلوا و أضلوا، و شاقوا الله و رسوله و حاربوهما،

فأي ضلال أبعد من هذا ؟!!

و أما أهل الإيمان فبعكس هؤلاء يؤمنون بالله و آياته

و يستحبون الآخرة على الدنيا و يدعون إلى سبيل الله

و يحسنونها مهما أمكنهم، و يبينون استقامتها.

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤﴾

(وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ)

و هذا من لطفه بعباده أنه ما أرسل رسولا

(إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ)

ما يحتاجون إليه، و يتمكنون من تعلم ما أتى به،

بخلاف ما لو كانوا على غير لسانهم،

فإنهم يحتاجون إلى أن يتعلموا تلك اللغة التي يتكلم بها، ثم يفهمون عنه،

فإذا بين لهم الرسول ما أمروا به، و نهوا عنه و قامت عليهم حجة الله

(فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ)

ممن لم ينقد للهدى،

(وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ)

ممن اختصه برحمته.

(وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ)

الذي – من عزته– أنه انفرد بالهداية و الإضلال،

و تقليب القلوب إلى ما شاء،

و من حكمته أنه لا يضع هدايته و لا إضلاله إلا بالمحل اللائق به.

و يستدل بهذه الآية الكريمة على :–

أن علوم العربية الموصلة إلى تبيين كلامه و كلام رسوله أمور مطلوبة محبوبة لله

لأنه لا يتم معرفة ما أنزل على رسوله إلا بها

إلا إذا كان الناس بحالة لا يحتاجون إليها، و ذلك إذا تمرنوا على العربية،

و نشأ عليها صغيرهم و صارت طبيعة لهم فحينئذ قد اكتفوا المؤنة،

و صلحوا لأن يتلقوا عن الله و عن رسوله ابتداء كما تلقى عنهم الصحابة رضي الله عنهم.

***وَ قَدْ كَانَتْ هَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ:
أَنَّهُ مَا بَعَثَ نَبِيًّا فِي أُمَّةٍ إِلَّا أَنْ يَكُونَ بِلُغَتِهِمْ،
فَاخْتَصَّ كُلَّ نَبِيٍّ بِإِبْلَاغِ رِسَالَتِهِ إِلَى أُمَّتِهِ دُونَ غَيْرِهِمْ، .
وَ اخْتَصَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَسُولَ اللَّهِ بِعُمُومِ الرِّسَالَةِ إِلَى سَائِرِ النَّاسِ،
***كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
"أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعطَهُن أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي:
نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ،
وَ جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وطَهُورًا،
و أحلَّت لِيَ الْغَنَائِمُ وَ لَمْ تُحَلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي،
وَ أُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ،
وَ كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ، وَ بُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً" ( ) .
***وَ قَالَ تَعَالَى:{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} [الأعراف: 158] .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

البخاري 355

(وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ)

يخبر تعالى: أنه أرسل موسى بآياته العظيمة

الدالة على صدق ما جاء به و صحته،

و أمره بما أمر الله به رسوله محمدا ﷺ بل و بما أمر به جميع الرسل قومهم

(أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ)

أي: ظلمات الجهل و الكفر و فروعه، إلى نور العلم و الإيمان و توابعه.

(وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ)

أي: بنعمه عليهم و إحسانه إليهم، و بأيامه في الأمم المكذبين،

و وقائعه بالكافرين، ليشكروا نعمه و ليحذروا عقابه،

***بِأَيَادِيهِ و نعَمه عَلَيْهِمْ، فِي إِخْرَاجِهِ إِيَّاهُمْ مِنْ أَسْرِ فِرْعَوْنَ.

وَ قَهْرِهِ وَ ظُلْمِهِ وَ غَشْمِهِ،

وَ إِنْجَائِهِ إِيَّاهُمْ مِنْ عَدْوِهِمْ،

وَ فَلْقِهِ لَهُمُ الْبَحْرَ،

وَ تَظْلِيلِهِ إِيَّاهُمْ بِالْغَمَامِ،

وَ إِنْزَالِهِ عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَ السَّلْوَى، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ النِّعَمِ

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ)

أي: في أيام الله على العباد

(لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ)

أي: صبار في الضراء و العسر و الضيق،

(شَكُورٍ)

على السراء و النعمة.

*** صحيح مسلم

(2999) عَنْ صُهَيْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
«عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ،
وَ لَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ،
إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ،
وَ إِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»

وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ أَنجَىٰكُم مِّنۡ ءَالِ
فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ
نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿٦﴾ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن
شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ
أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن
قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۛ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ
جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم
بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ
مُّسَمّٗىۚ قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا
فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿١٠﴾

وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ أَنجَىٰكُم مِّنۡ ءَالِ
فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ
نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿٦﴾ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن
شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ﴿٧﴾

وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾

(وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ)

فإنه يستدل بأيامه على كمال قدرته و عميم إحسانه،

و تمام عدله و حكمته، و لهذا امتثل موسى عليه السلام أمر ربه،

فذكرهم نعم الله فقال:

(ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ)

أي: بقلوبكم و ألسنتكم.

(إِذۡ أَنجَىٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ)

أي: يولونكم

(سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ)

أي: أشده و فسر ذلك بقوله:

(وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ)

أي: يبقونهن فلا يقتلونهن،

(وَفِي ذَٰلِكُم)

الإنجاء

(بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ)

أي: نعمة عظيمة،

أو و في ذلكم العذاب الذي ابتليتم به من فرعون و ملئه ابتلاء من الله عظيم لكم، لينظر هل تصبرون أم لا؟

***وَ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ هَذَا وَ هَذَا، وَ اللَّهُ أَعْلَمُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}[الْأَعْرَافِ: 168].

و قال لهم حاثا على شكر نعم الله:

(وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ)

أي: أعلم و وعد،

***وَ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى:

وَ إِذْ أَقْسَمَ رَبُّكُمْ وَ آلَى بِعِزَّتِهِ وَ جَلَالِهِ وَ كِبْرِيَائِهِ كَمَا قَالَ:

{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ} [الْأَعْرَافِ: 167] .

(لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ)

من نعمي

(وَلَئِن كَفَرْتُمْ)

***كَفَرْتُمُ النِّعَمَ وَ سَتَرْتُمُوهَا وَ جَحَدْتُمُوهَا

(إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ)

و من ذلك أن يزيل عنهم النعمة التي أنعم بها عليهم.

<u>و الشكر: -</u>

1-هو اعتراف القلب بنعم الله

2–و الثناء على الله بها

3–و صرفها في مرضاة الله تعالى. و كفر النعمة ضد ذلك.

(وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا)

فلن تضروا الله شيئا

(فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ)

فالطاعات لا تزيد في ملكه و المعاصي لا تنقصه،

و هو كامل الغنى

(حَمِيدٌ)

في ذاته و أسمائه و صفاته و أفعاله،

ليس له من الصفات إلا كل صفة حمد و كمال،

و لا من الأسماء إلا كل اسم حسن،و لا من الأفعال إلا كل فعل جميل.

***هُوَ غَنِيٌّ عَنْ شُكْرِ عِبَادِهِ، وَ هُوَ الْحَمِيدُ الْمَحْمُودُ،وَ إِنَّ كَفَرَهُ مَنْ كَفَرَهُ، كَمَا قَالَ:{إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ}[الزُّمَرِ: 7]

وَ قَالَ تَعَالَى:{فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ}[التَّغَابُنِ: 6]

***صحيح مسلم

(2577) عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «.... يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَ آخِرَكُمْ وَ إِنْسَكُمْ وَ جِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا،

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ،
مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ)

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾

يقول تعالى مخوفا عباده ما أحله بالأمم المكذبة حين جاءتهم الرسل،

فكذبوهم، فعاقبهم بالعقاب العاجل الذي رآه الناس و سمعوه فقال:

(أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ)

و قد ذكر الله قصصهم في كتابه و بسطها،

(وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ)

من كثرتهم و كون أخبارهم اندرست.

فهؤلاء كلهم (جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ)

أي: بالأدلة الدالة على صدق ما جاءوا به،

فلم يرسل الله رسولا إلا آتاه من الآيات ما يؤمن على مثله البشر،

فحين أتتهم رسلهم بالبينات لم ينقادوا لها بل استكبروا عنها،

(فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ)

أي:لم يؤمنوا بما جاءوا به و لم يتفوهوا بشيء مما يدل على الإيمان كقوله

(يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ)

(وَقَالُوٓاْ)

صريحا لرسلهم:

(إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ)

أي: موقع في الريبة، و قد كذبوا في ذلك و ظلموا.

و لهذا (قَالَتۡ) لهم

(رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ)

أي: فإنه أظهر الأشياء و أجلاها، فمن شك في الله

(فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ)

الذي وجود الأشياء مستند إلى وجوده،

لم يكن عنده ثقة بشيء من المعلومات، حتى الأمور المحسوسة

و لهذا خاطبتهم الرسل خطاب من لا يشك فيه و لا يصلح الريب فيه

(يَدۡعُوكُمۡ)

إلى منافعكم و مصالحكم

(لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ)

أي: ليثيبكم على الاستجابة لدعوته بالثواب العاجل و الآجل،

فلم يدعكم لينتفع بعبادتكم، بل النفع عائد إليكم.

***كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ}الْآيَةَ [هُودٍ: 3]

***وَ هَــــــذَا يَحْتَمِلُ شَيْئَيْـــنِ:-

1-أَفِي وُجُودِهِ شَكٌّ، فَإِنَّ الْفِطَرَ شَاهِدَةٌ بِوُجُودِهِ،
وَ مَجْبُولَةٌ عَلَى الْإِقْرَارِ بِهِ،
فَإِنَّ الِاعْتِرَافَ بِهِ ضَرُورِيٌّ فِي الفطَرِ السَّلِيمَةِ،
وَ لَكِنْ قَدْ يَعْرِضُ لِبَعْضِهَا شَكٌّ وَ اضْطِرَابٌ،
فَتَحْتَاجُ إِلَى النَّظَرِ فِي الدَّلِيلِ الْمُوَصِّلِ إِلَى وُجُودِهِ؛
وَ لِهَذَا قَالَتْ لَهُمُ الرُّسُلُ تُرْشِدُهُمْ إِلَى طَرِيقِ مَعْرِفَتِهِ بِأَنَّهُ

{فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}

الَّذِي خَلَقَهَا وَ ابْتَدَعَهَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ،
فَإِنَّ شَوَاهِدَ الْحُدُوثِ وَ الْخَلْقِ وَ التَّسْخِيرِ ظَاهِرٌ عَلَيْهَا،
فَلَا بُدَّ لَهَا مِنْ صَانِعٍ،وَ هُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَ إِلَهُهُ وَ مَلِيكُهُ.
2-الْمَعْنَى الثَّانِي فِي قَوْلِهِمْ:

{أَفِي اللَّهِ شَكٌّ}

أَيْ: أَفِي إِلَهِيَّتِهِ وَ تَفَرُّدِهِ بِوُجُوبِ الْعِبَادَةِ لَهُ شَكٌّ،
وَ هُوَ الْخَالِقُ لِجَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ،

وَ لَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ إِلَّا هُوَ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛
فَإِنَّ غَالِبَ الْأُمَمِ كَانَتْ مُقِرَّةً بِالصَّانِعِ،
وَ لَكِنْ تَعْبُدُ مَعَهُ غَيْرَهُ مِنَ الْوَسَائِطِ الَّتِي يَظُنُّونَهَا تَنْفَعُهُمْ
أَوْ تُقَرِّبُهُمْ مِنَ اللَّهِ زُلْفَى.

فردوا على رسلهم رد السفهاء الجاهلين

(قَالُوٓاْ) لهم:

(إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا)

أي: فكيف تفضلوننا بالنبوة و الرسالة

(تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا)

فكيف نترك رأي الآباء و سيرتهم لرأيكم؟

و كيف نطيعكم و أنتم بشر مثلنا؟

(فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ)

أي: بحجة و بينة ظاهرة، و مرادهم بينة يقترحونها هم،

و إلا فقد تقدم أن رسلهم جاءتهم بالبينات.

قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ
وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم بِسُلۡطَٰنٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ
﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ
وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ
أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾
وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾
وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ
﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ
بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ
كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ
ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٨﴾

قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ
وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم بِسُلۡطَٰنٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ

﴿11﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿12﴾

(قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ)

مجيبين عن اقتراحهم و اعتراضهم:

(إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ)

أي: صحيح و حقيقة أنا بشر مثلكم

(وَلَٰكِنَّ)

ليس في ذلك ما يدفع ما جئنا به من الحق

فإن (ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ)

فإذا مَنَّ الله علينا بوحيه و رسالته،

فذلك فضله و إحسانه،

و ليس لأحد أن يحجر على الله فضله و يمنعه من تفضله.

فانظروا ما جئناكم به فإن كان حقا فاقبلوه و إن كان غير ذلك فردوه

و لا تجعلوا حالنا حجة لكم على رد ما جئناكم به،

و قولكم: (فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ)

فإن هذا ليس بأيدينا و ليس لنا من الأمر شيء.

(وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ)

فهو الذي إن شاء جاءكم به،

و إن شاء لم يأتكم به و هو لا يفعل إلا ما هو مقتضى حكمته و رحمته،

(وَعَلَى ٱللَّهِ)

لا على غيره

(فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ)

فيعتمدون عليه في جلب مصالحهم و دفع مضارهم

لعلمهم بتمام كفايته و كمال قدرته و عميم إحسانه،

و يثقون به في تيسير ذلك

و بحسب ما معهم من الإيمان يكون توكلهم.

فعلم بهذا وجوب التوكل، و أنه من لوازم الإيمان،

و من العبادات الكبار التي يحبها الله و يرضاها، لتوقف سائر العبادات عليه،

(وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ)

أي: أي شيء يمنعنا من التوكل على الله

(وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ)

و الحال أننا على الحق و الهدى،

و من كان على الحق و الهدى فإن هداه يوجب له تمام التوكل،

و كذلك ما يعلم من أن الله متكفل بمعونة المهتدي و كفايته،

يدعو إلى ذلك، بخلاف من لم يكن على الحق و الهدى

فإنه ليس ضامنا على الله، فإن حاله مناقضة لحال المتوكل.

و في هذا كالإشارة من الرسل عليهم الصلاة و السلام لقومهم بآية عظيمة،

و هو أن قومهم – في الغالب– لهم القهر و الغلبة عليهم،

فتحدتهم رسلهم بأنهم متوكلون على الله، في دفع كيدكم و مكركم،

و جازمون بكفايته إياهم،

و قد كفاهم الله شرهم مع حرصهم على إتلافهم و إطفاء ما معهم من الحق،

فيكون هذا كقول نوح لقومه:

(يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنْظِرُونِ)الآيات.

و قول هود عليه السلام قال:(إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ*مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ)

(وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا)

أي و لنستمرن على دعوتكم و وعظكم و تذكيركم

و لا نبالي بما يأتينا منكم من الأذى

فإنا سنوطن أنفسنا على ما ينالنا منكم من الأذى احتسابا للأجر

و نصحا لكم لعل الله أن يهديكم مع كثرة التذكير

(وَعَلَى ٱللَّهِ)

وحده لا على غيره

(فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ)

فإن التوكل عليه مفتاح لكل خير

و اعلم أن الرسل عليهم الصلاة والسلام توكلهم في أعلى المطالب و أشرف المراتب و هو التوكل على الله في إقامة دينه و نصره و هداية عبيده

و إزالة الضلال عنهم و هذا أكمل ما يكون من التوكل

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾

لما ذكر دعوة الرسل لقومهم و دوامهم على ذلك و عدم مللهم،

ذكر منتهى ما وصلت بهم الحال مع قومهم

فقال: (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ)

متوعدين لهم

(لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا)

و هذا أبلغ ما يكون من الرد، و ليس بعد هذا فيهم مطمع،

لأنه ما كفاهم أن أعرضوا عن الهدى

بل توعدوهم بالإخراج من ديارهم و نسبوها إلى أنفسهم

و زعموا أن الرسل لا حق لهم فيها،

و هذا من أعظم الظلم، فإن الله أخرج عباده إلى الأرض،

و أمرهم بعبادته، و سخر لهم الأرض وما عليها يستعينون بها على عبادته.

فمن استعان بذلك على عبادة الله حل له ذلك و خرج من التبعة،

و من استعان بذلك على الكفر و أنواع المعاصي،

لم يكن ذلك خالصا له، و لم يحل له،

فعلم أن أعداء الرسل في الحقيقة ليس لهم شيء من الأرض التي توعدوا الرسل بإخراجهم منها.

و إن رجعنا إلى مجرد العادة فإن الرسل من جملة أهل بلادهم، و أفراد منهم،

فلأي شيء يمنعونهم حقا لهم صريحا واضحا؟!

هل هذا إلا من عدم الدين و المروءة بالكلية؟

و لهذا لما انتهى مكرهم بالرسل إلى هذه الحال ما بقي حينئذ إلا أن يمضي الله أمره، و ينصر أولياءه،

***يُخْبِرُ تَعَالَى عَمَّا تَوَعَّدَتْ بِهِ الْأُمَمُ الْكَافِرَةُ رُسُلَهُمْ،

مِنَ الْإِخْرَاجِ مَنْ أَرْضِهِمْ، وَ النَّفْيِ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ،

كَمَا قَالَ قَوْمُ شُعَيْبٍ لَهُ وَ لِمَنْ آمَنَ بِهِ:

{لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا} [الْأَعْرَافِ: 88] ،

وَ قَالَ قَوْمُ لُوطٍ: {أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ} [النَّمْلِ: 56] ،

وَ قَالَ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ:{وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلا قَلِيلا} [الْإِسْرَاءِ: 76]

وَ قَالَ تَعَالَى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [الْأَنْفَالِ: 30]

وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى:{فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ} كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ} [الصَّافَّاتِ: 171 -173] ، وَ قَالَ تَعَالَى:

{كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الْمُجَادَلَةِ: 21]

وَ قَالَ:{وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ} [الأنبياء: 105]

(فَأَوْحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ)

بأنواع العقوبات.

(وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ)

أي: العاقبة الحسنة التي جعلها الله للرسل و من تبعهم جزاء

(لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي)

عليه في الدنيا و راقب الله مراقبة من يعلم أنه يراه،

(وَخَافَ وَعِيدِ)

أي: ما توعدت به من عصاني

فأوجب له ذلك الانكفاف عما يكرهه الله و المبادرة إلى ما يحبه الله.

***وَعِيدِي هَذَا لِمَنْ خَافَ مَقَامِي بَيْنَ يَدَيْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

وَ خَشِيَ مِنْ وَعِيدِي، وَ هُوَ تَخْوِيفِي وَ عَذَابِي،

كَمَا قَالَ تَعَالَى:{فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى}

[النَّازِعَاتِ: 37 -41]

وَ قَالَ: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ} [الرَّحْمَنِ: 46] .

(وَٱسۡتَفۡتَحُواْ)

أي: الكفار أي: هم الذين طلبوا و استعجلوا فتح الله و فرقانه بين أوليائه

و أعدائه فجاءهم ما استفتحوا به

و إلا فالله حليم لا يعاجل من عصاه بالعقوبة

***اسْتَفْتَحَتِ الْأُمَمُ عَلَى أَنْفُسِهَا، كَمَا قَالُوا:

{اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [الْأَنْفَالِ: 32] .

وَ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مُرَادًا وَ هَذَا مُرَادًا،

كَمَا أَنَّهُمُ اسْتَفْتَحُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ،

وَ اسْتَفْتَحَ رَسُولُ اللَّهِ وَ اسْتَنْصَرَ،

وَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُشْرِكِينَ:{إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ} الْآيَةَ [الْأَنْفَالِ: 19] وَ اللَّهُ أَعْلَمُ.

(وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ)

أي: خسر في الدنيا و الآخرة من تجبر

على الله و على الحق

و على عباد الله و استكبر في الأرض

(عَنِيدٍ)

و عاند الرسل و شاقهم.

***كَمَا قَالَ تَعَالَى:{أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ} [ق: 24 -26]

(مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ)

أي: جهنم لهذا الجبار العنيد بالمرصاد، فلا بد له من ورودها فيذاق حينئذ العذاب الشديد،

(وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ)

في لونه و طعمه و رائحته الخبيثة، و هو في غاية الحرارة.

***فِي النَّارِ لَيْسَ لَهُ شَرَابٌ إِلَّا مِنْ حَمِيمٍ أَوْ غَسَّاقٍ،

فَهَذَا فِي غَايَةِ الْحَرَارَةِ، وَ هَذَا فِي غَايَةِ الْبَرْدِ وَ النَّتَنِ، كَمَا قَالَ:

{هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ} [ص: 57، 58] .

(يَتَجَرَّعُهُۥ)

من العطش الشديد

*** يَتَغَصَّصُهُ وَ يَتَكَرَّهُهُ، أَيْ: يَشْرَبُهُ قَهْرًا وَ قَسْرًا،

لَا يَضَعُهُ فِي فِيهِ حَتَّى يَضْرِبَهُ الْمَلَكُ بِمِطْرَاقٍ مِنْ حَدِيدٍ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ} [الْحَجِّ: 21] .

(وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ)

فإنه إذا قرب إلى وجهه شواه

و إذا وصل إلى بطنه قطع ما أتى عليه من الأمعاء،

***يَزْدَرِدُهُ لِسُوءِ لَوْنِهِ وَ طَعْمِهِ وَ رِيحِهِ، وَ حَرَارَتِهِ أَوْ بَرْدِهِ الَّذِي لَا يُسْتَطَاعُ.

***الميسر:فلا يستطيع أن يبتلعه؛ لقذارته و حرارته، و مرارته،**

(وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ)

أي: يأتيه العذاب الشديد من كل نوع من أنواع العذاب،

(وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ)

و كل نوع منه من شدته يبلغ إلى الموت و لكن الله قضى أن لا يموتوا

***الميسر: و ما هو بميت فيستريح**

كما قال تعالى:(لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور وهم يصطرخون فيها)

*** يَأْلَمُ لَهُ جَمِيعُ بَدَنِهِ وَ جَوَارِحِهِ وَ أَعْضَائِهِ.

(وَمِن وَرَآئِهِۦ)

أي: الجبار العنيد

***وَ "وراء" ها هنا بِمَعْنَى "أَمَامُ"، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا} [الْكَهْفِ: 79]

وَ كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقْرَؤُهَا (وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ)

أَيْ: مِنْ وَرَاءِ الْجَبَّارِ الْعَنِيدِ جَهَنَّمُ،

أَيْ: هِيَ لَهُ بِالْمِرْصَادِ، يَسْكُنُهَا مُخَلَّدًا يَوْمَ الْمَعَادِ،

وَ يُعْرَضُ عليها غدوا و عشيا إلى يوم التناد.

(عَذَابٌ غَلِيظٌ)

أي: قوي شديد لا يعلم وصفه و شدته إلا الله تعالى.

مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

(مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ)

يخبر تعالى عن أعمال الكفار التي عملوها:

إما أن المراد بها الأعمال التي عملوها لله،

بأنها في ذهابها و بطلانها و اضمحلالها كاضمحلال الرماد،

الذي هو أدق الأشياء و أخفها،

إذا (ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ)

شديد الهبوب،

فإنه لا يبقى منه شيئا، و لا يقدر منه على شيء يذهب و يضمحل،

فكذلك أعمال الكفار

***كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا}
[الْفُرْقَانِ: 23]

(لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ)

و لا على مثقال ذرة منه لأنه مبني على الكفر و التكذيب.

*الميسر: ذلك السعي و العمل على غير أساس،

(ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ)

حيث بطل سعيهم و اضمحل عملهم،

و إما أن المراد بذلك أعمال الكفار التي عملوها ليكيدوا بها الحق،

فإنهم يسعون و يكدحون في ذلك

و مكرهم عائد عليهم

و لن يضروا الله و رسله و جنده و ما معهم من الحق شيئا

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ
﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا
كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ
لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ
لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ
عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ
أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ
ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ
ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ
﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا
كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ
لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾

(أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ)ينبه تعالى عباده بأنه

(خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ)

1- ليعبـــــــده الخلق و يعـــــــرفوه،

2-و يـــــأمرهم و ينهـــــاهم

3-و ليستـــــــدلوا بهما و ما فيهما على ما له من صفات الكمال،

و ليعلموا أن الذي خلق السماوات و الأرض - على عظمهما و سعتهما-

قادر على أن يعيدهم خلقا جديدا،

ليجازيهم بإحسانهم و إساءتهم،

و أن قدرته و مشيئته لا تقصر عن ذلك

***{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الْأَحْقَافِ: 33]

و لهذا قال: (إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ)

1-يحتمل أن المعنى:

إن يشأ يذهبكم و يأت بقوم غيركم يكونون أطوع لله منكم،

2-و يحتمل أن المراد أنه: إن يشأ يفنيكم ثم يعيدهم بالبعث خلقا جديدا،

و يدل على هذا الاحتمال ما ذكره بعده من أحوال القيامة.

(وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ)

أي: بممتنع بل هو سهل عليه جدا،

(مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ)

***كقوله :{وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ}

[مُحَمَّدٍ: 38]

(وَبَرَزُوا)

أي: الخلائق

*** اجْتَمَعُوا لَهُ فِي بِرَازٍ مِنَ الْأَرْضِ،
وَ هُوَ الْمَكَانُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ يَسْتُرُ أَحَدًا.

(لِلَّهِ جَمِيعًا)

حين ينفخ في الصور فيخرجون من الأجداث إلى ربهم

فيقفون في أرض مستوية قاع صفصف، لا ترى فيها عوجا ولا أمتا،

و يبرزون له لا يخفى عليه منهم خافية،

فإذا برزوا صاروا يتحاجون،

و كل يدفع عن نفسه، و يدافع ما يقدر عليه، و لكن أنى لهم ذلك؟

فيقول (فَقَالَ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ)

أي: التابعون و المقلدون

(لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ)

و هم: المتبوعون الذين هم قادة في الضلال:

(إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا)

أي: في الدنيا، أمرتمونا بالضلال، و زينتموه لنا فأغويتمونا،

(فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ)

أي: و لو مثقال ذرة،

(قَالُواْ)

أي: المتبوعون و الرؤساء

{وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ30 فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ} **[الصافات: 30 - 32]**

و (لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ)

فلا يغني أحد أحدا،

(سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ)

من العذاب

(أَمۡ صَبَرۡنَا)

عليه،

(مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ)

أي: من ملجأ نلجأ إليه، و لا مهرب لنا من عذاب الله.

***قُلْتُ:وَ الظَّاهِرُ أَنَّ هَذِهِ الْمُرَاجَعَةَ فِي النَّارِ بَعْدَ دُخُولِهِمْ إِلَيْهَا،
كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ} [غَافِرٍ: 47، 48]

وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾ وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾

***يُخْبِرُ تَعَالَى عَمَّا خَطَبَ بِهِ إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ أَتْبَاعَهُ،
بَعْدَمَا قَضَى اللَّهُ بَيْنَ عِبَادِهِ، فَأَدْخَلَ الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّاتِ،
وَ أَسْكَنَ الْكَافِرِينَ الدَّرَكَاتِ،
فَقَامَ فِيهِمْ إِبْلِيسُ -لَعَنَهُ اللَّهُ -حِينَئِذٍ خَطِيبًا لِيَزِيدَهُمْ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ
و غبنا إِلَى غبْنهم، وَ حَسْرَةً إِلَى حَسْرَتِهِمْ،
فَقَالَ: {إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ}
أَيْ: عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ، وَ وَعَدَكُمْ فِي اتِّبَاعِهِمُ النَّجَاةَ وَ السَّلَامَةَ،
وَ كَانَ وَعْدًا حَقًّا، وَ خَبَرًا صِدْقًا،
وَ أَمَّا أَنَا فَوَعَدْتُكُمْ وَ أَخْلَفْتُكُمْ،

كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلا غُرُورًا} [النِّسَاءِ: 120] .

أي: (وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ)

الذي هو سبب لكل شر يقع و وقع في العالم،مخاطبا لأهل النار و متبرئا منهم

(لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ)

و دخل أهل الجنة الجنة و أهل النار النار.

(إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ)

على ألسنة رسله فلم تطيعوه، فلو أطعتموه لأدركتم الفوز العظيم،

(وَوَعَدتُّكُمۡ)

الخير

(فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ)

أي: لم يحصل و لن يحصل لكم ما منيتكم به من الأماني الباطلة.

(وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ)

أي: من حجة على تأييد قولي،

(إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ)

أي: هذا نهاية ما عندي أني دعوتكم إلى مرادي و زينته لكم،

(فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ)

اتباعا لأهوائكم و شهواتكم،

فإذا كانت الحال بهذه الصورة

(فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم)

فأنتم السبب و عليكم المدار في موجب العقاب،

(مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ)

أي: بمغيثكم من الشدة التي أنتم بها

(وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ)

كل له قسط من العذاب.

(إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ)

أي: تبرأت من جعلكم لي شريكا مع الله فلست شريكا لله و لا تجب طاعتي،

*** إِنِّي جَحَدْتُ أَنْ أَكُونَ شَرِيكًا لله، عز وجل.

و هذا الذي قال هُوَ الرَّاجِحُ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ} [الْأَحْقَافِ: 5، 6]

وَ قَالَ: {كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا} [مَرْيَمَ: 82] .

(إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ)

لأنفسهم بطاعة الشيطان

(لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

خالدين فيه أبدا.

و هذا من لطف الله بعباده ،أن حذرهم من طاعة الشيطان

و أخبر بمداخله التي يدخل منها على الإنسان و مقاصده فيه،

و أنه يقصد أن يدخله النيران،

و هنا بين لنا أنه إذا دخل النار و حزبه أنه يتبرأ منهم هذه البراءة،

و يكفر بشركهم

(وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ)

و اعلم أن الله ذكر في هذه الآية أنه ليس له سلطان،

و قال في آية أخرى

(إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ)

فالسلطان الذي نفاه عنه هو سلطان الحجة و الدليل،

فليس له حجة أصلا على ما يدعو إليه،

و إنما نهاية ذلك أن يقيم لهم من الشبه و التزيينات ما به يتجرؤون على المعاصي.

و أما السلطان الذي أثبته فهو التسلط بالإغراء على المعاصي لأوليائه يؤُزّهم إلى المعاصي أزّا،

و هم الذين سلطوه على أنفسهم بموالاته و الالتحاق بحزبه،

و لهذا ليس له سلطان على الذين آمنوا و على ربهم يتوكلون.

و لما ذكر عقاب الظالمين ذكر ثواب الطائعين فقال

(وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ)

أي: قاموا بالدين، قولا و عملا و اعتقادا

(جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ)

فيها من اللذات و الشهوات ما لا عين رأت، و لا أذن سمعت،

و لا خطر على قلب بشر،

(خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ)

أي: لا بحولهم و قوتهم بل بحول الله و قوته

(تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ)

أي: يحيي بعضهم بعضا بالسلام و التحية و الكلام الطيب.

***كَمَا قَالَ تَعَالَى:{حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ} [الزُّمَرِ: 73]

وَ قَالَ تَعَالَى:{وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ} [الرَّعْدِ: 23، 24]

وَ قَالَ تَعَالَى: {وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا} [الْفُرْقَانِ: 75]

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ

وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾

يقول تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ﴾

و هي شهادة أن لا إله إلا الله، و فروعها

﴿كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ﴾

و هي النخلة

*** وَ هُوَ الْمُؤْمِنُ

***هي شجرة في الجنة

﴿أَصۡلُهَا ثَابِتٞ﴾

في الأرض

*** يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ

﴿وَفَرۡعُهَا﴾

منتشر

﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾

*** يَقُولُ: يُرْفَعُ بِهَا عَمَلُ الْمُؤْمِنِ إِلَى السَّمَاءِ.

و هي كثيرة النفع دائما .

*** وَ هَكَذَا قَالَ الضَّحَّاكُ، و غير واحد:

إِنَّ ذَلِكَ عِبَارَةٌ عَنِ الْمُؤْمِنِ، وَ قَوْلِهِ الطَّيِّبِ، وَ عَمَلِهِ الصَّالِحِ،

وَ إِنَّ الْمُؤْمِنَ كَالشَّجَرَةِ مِنَ النَّخْلِ،

لَا يَزَالُ يُرْفَعُ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ فِي كُلِّ حِينٍ وَ وَقْتٍ، وَ صَبَاحٍ وَ مَسَاءٍ.

*** صحيح البخاري

4698 - عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:

كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺفَقَالَ:

أَخْبِرُونِي بِشَجَرَةٍ تُشْبِهُ أَوْ: كَالرَّجُلِ المُسْلِمِ لاَ يَتَحَاتُّ وَرَقُهَا،

وَ لاَ وَ لاَ وَ لاَ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ

قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ،

وَ رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَ عُمَرَ لاَ يَتَكَلَّمَانِ،

فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ فَلَمَّا لَمْ يَقُولُوا شَيْئًا،

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هِيَ النَّخْلَةُ»

فَلَمَّا قُمْنَا قُلْتُ لِعُمَرَ: يَا أَبَتَاهُ،

وَ اللَّهِ لَقَدْ كَانَ وَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ،

فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَكَلَّمَ؟

قَالَ: لَمْ أَرَكُمْ تَكَلَّمُونَ،

فَكَرِهْتُ أَنْ أَتَكَلَّمَ أَوْ أَقُولَ شَيْئًا،

قَالَ عُمَرُ: لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا( )

(يتحات) يتساقط ويتناثر.

(ولا ولا ولا) تكرار لكلمة لا ثلاث مرات وأشار بهذا إلى ثلاث صفات أخر للنخلة ذكرها رسول الله ﷺولم يذكرها الراوي.

(تؤتي. .) لا ينقطع ثمرها ولا يتأخر عن وقته.

(من كذا وكذا) أي من حمر النعم كما صرح به في رواية أخرى]

تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ
يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ
مَا لَهَا مِن قَرَارٖ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي
ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ
نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴿٢٩﴾
وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلۡ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾
قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ مِّن قَبۡلِ أَن
يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي
ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ
وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ
يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ
ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ ﴿٢٦﴾

(تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا) أي: ثمرتها

(كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ)

فكذلك شجرة الإيمان ، أصلها ثابت في قلب المؤمن، علما و اعتقادا.

و فرعها من الكلم الطيب و العمل الصالح و الأخلاق المرضية،

و الآداب الحسنة في السماء

دائما يصعد إلى الله منه من الأعمال و الأقوال التي تخرجها شجرة الإيمان

ما ينتفع به المؤمن و ينفع غيره،

(وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ)

ما أمرهم به و نهاهم عنه،

فإن في ضرب الأمثال تقريبا للمعاني المعقولة من الأمثال المحسوسة،

و يتبين المعنى الذي أراده الله غاية البيان، و يتضح غاية الوضوح،

و هذا من رحمته و حسن تعليمه.

فلله أتم الحمد و أكمله و أعمه،

فهذه صفة كلمة التوحيد و ثباتها، في قلب المؤمن.

ثم ذكر ضدها و هي كلمة الكفر و فروعها فقال:

(وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ)

المأكل و المطعم و هي: شجرة الحنظل و نحوها،

(ٱجۡتُثَّتۡ) هذه الشجرة

﴿مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ﴾

أي: من ثبوت فلا عروق تمسكها، و لا ثمرة صالحة، تنتجها،

بل إن وجد فيها ثمرة، فهي ثمرة خبيثة،

كذلك كلمة الكفر و المعاصي،

ليس لها ثبوت نافع في القلب،

و لا تثمر إلا كل قول خبيث و عمل خبيث يستضر به صاحبه،

و لا ينتفع، فلا يصعد إلى الله منه عمل صالح

و لا ينفع نفسه،

و لا ينتفع به غيره.

يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾

*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

سنن النسائي

2057 -عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

{يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ}

[إبراهيم:27]،

قَالَ: " نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ،

يُقَالُ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟

فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، وَ دِينِي دِينُ مُحَمَّدٍ ﷺ،
فَذَلِكَ قَوْلُهُ:{يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [إبراهيم:27]
***وَ قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي تفسيره عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ:
{يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}
قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،
{وَفِي الآخِرَةِ}
الْمَسْأَلَةُ فِي الْقَبْرِ .
*** سنن أبي داود
3221 - عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، قَالَ:
كَانَ النَّبِيُّ ﷺ، إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ،
فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَ سَلُوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ،
فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ»
❍يخبر تعالى أنه يثبت عباده المؤمنين،
أي: الذين قاموا بما عليهم من إيمان القلب التام،
الذي يستلزم أعمال الجوارح و يثمرها،
فيثبتهم الله في الحياة الدنيا :-
1-عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين،

2-و عند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس و مراداتها.

و في الآخرة :-

1-عند الموت بالثبات على الدين الإسلامي و الخاتمة الحسنة،

2-و في القبر عند سؤال الملكين، للجواب الصحيح،

إذا قيل للميت « من ربك؟ و ما دينك؟ و من نبيك؟ »

هداهم للجواب الصحيح بأن يقول المؤمن:

« الله ربي و الإسلام ديني و محمد نبيي »

(وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ)

عن الصواب في الدنيا و الآخرة،

و ما ظلمهم الله و لكنهم ظلموا أنفسهم،

و في هذه الآية دلالة على فتنة القبر و عذابه، و نعيمه،

كما تواترت بذلك النصوص عن النبي ﷺفي الفتنة، و صفتها، و نعيم القبر و عذابه.

(وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ)

***الميسر: من توفيق أهل الإيمان و خِذْلان أهل الكفر و الطغيان.**

﴿٢٧﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾

جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ

﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ۝٣٠﴾

يقول تعالى – مبينا حال المكذبين لرسوله من كفار قريش و ما آل إليه أمرهم:

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا)

***الميسر :الذين استبدلوا الكفر بالله بدلا عن شكره على نعمة الأمن بالحرم و بعثة النبي محمد ﷺ فيهم**

○و نعمة الله هي إرسال محمد ﷺإليهم،

يدعوهم إلى إدراك الخيرات في الدنيا و الآخرة و إلى النجاة من شرور الدنيا و الآخرة،

*** صحيح البخاري

4700 -عن ابْنِ عَبَّاسٍ،

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا}[إبراهيم: 28]

قَالَ: «هُمْ كُفَّارُ أَهْلِ مَكَّةَ»

***وَ هذا هو الْمَشْهُورُ الصَّحِيحُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ

وَ إِنْ كَانَ الْمَعْنَى يَعُمُّ جَمِيعَ الْكُفَّارِ

***قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ:عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ: أَنَّ ابْنَ الْكَوَّاءِ سَأَلَ عَلِيًّا عَنْ

{الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ}

قَالَ: كَفَّارُ قُرَيْشٍ يَوْمَ بَدْرٍ.

○فبدلوا هذه النعمة بردها، و الكفر بها و الصد عنها بأنفسهم.

(و) صدهم غيرهم حتى

(وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ)

***الهلاك

و هي النار حيث تسببوا لإضلالهم، فصاروا وبالا على قومهم، من حيث يظن نفعهم،

و من ذلك أنهم زينوا لهم الخروج يوم « بدر » ليحاربوا الله و رسوله، فجرى عليهم ما جرى، و قتل كثير من كبرائهم و صناديدهم في تلك الوقعة.

(جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا)

أي: يحيط بهم حرها من جميع جوانبهم

(وَبِئْسَ الْقَرَارُ)

*الميسر:و قَبُحَ المستقر مستقرهم

(وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا)

أي: نظراء و شركاء

(لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ)

أي: ليضلوا العباد عن سبيل الله بسبب ما جعلوا لله من الأنداد و دعوهم إلى عبادتها،

(قُلْ) لهم متوعدا:

(تَمَتَّعُوا)

بكفركم و ضلالكم قليلا فليس ذلك بنافعكم

(فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ)

أي: مآلكم و مقركم و مأواكم فيها و بئس المصير.

قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾

(قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ)

المؤمنين آمرا لهم بما فيه غاية صلاحهم و أن ينتهزوا الفرصة،

قبل أن لا يمكنهم ذلك:

(يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ)

ظاهرا و باطنا

(وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ)

أي: من النعم التي أنعمنا بها عليهم قليلا أو كثيرا

(سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ)

و هذا يشمل النفقة الواجبة كالزكاة و نفقة من تجب عليه نفقته،

و المستحبة كالصدقات و نحوها.

(مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ)

***القيامة

(لَّا بَيۡعٞ فِيهِ)

أي: لا ينفع فيه شيء و لا سبيل إلى استدراك ما فات لا بمعاوضة بيع و شراء

(وَلَا خِلَٰلٌ)

و لا بهبة خليل و صديق،

فكل امرئ له شأن يغنيه، فليقدم العبد لنفسه،

و لينظر ما قدمه لغد، و ليتفقد أعماله، و يحاسب نفسه، قبل الحساب الأكبر.

*** كَمَا قَالَ تَعَالَى: {فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} [الْحَدِيدِ: 15] .

ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

يخبر تعالى: أنه وحده

(ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ)

على اتساعهما و عظمهما،

(وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً)

و هو: المطر الذي ينزله الله من السحاب،

(فَأَخْرَجَ بِهِۦ)

بذلك الماء

(مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ)

المختلفة الأنواع

(رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ)

و رزقا لأنعامكم

(وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ)

أي: السفن و المراكب.

(لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ)

فهو الذي يسر لكم صنعتها و أقدركم عليها،

و حفظها على تيار الماء لتحملكم،

و تحمل تجاراتكم، و أمتعتكم إلى بلد تقصدونه.

ۖ(وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ)

لتسقي حروثكم و أشجاركم و تشربوا منها.

(وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ)

لا يفتران، و لا ينيان، يسعيان لمصالحكم،

من حساب أزمنتكم و مصالح أبدانكم، و حيواناتكم، و زروعكم، و ثماركم،

*** {لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} [يس: 40]

(وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ)

لتسكنوا فيه

(وَٱلنَّهَارَ)

مبصرا لتبتغوا من فضله.

وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٤٢﴾

وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴿٣٤﴾

(وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ)

أي: أعطاكم من كل ما تعلقت به أمانيكم و حاجتكم مما تسألونه إياه

بلسان الحال، أو بلسان المقال،

من أنعام، و آلات، و صناعات و غير ذلك.

(وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ)

فضلا عن قيامكم بشكرها

***وَ قَالَ الشَّافِعِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُؤَدَّى شُكْرُ نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِهِ، إِلَّا بِنِعْمَةٍ تُوجِب عَلَى مُؤدى مَاضِي نعَمه بِأَدَائِهَا، نِعْمَةً حادثةً تُوجِبُ عَلَيْهِ شُكْرَهُ بِهَا .

(إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ)

أي: هذه طبيعة الإنسان من حيث هو ظالم متجرئ على المعاصي مقصر في حقوق ربه

(كَفَّارٌ)

لنعم الله،لا يشكرها و لا يعترف بها إلا من هداه الله فشكر نعمه،

و عرف حق ربه و قام به.

ففي هذه الآيات من أصناف نعم الله على العباد شيء عظيم،

مجمل و مفصل يدعو الله به العباد إلى القيام بشكره،

و ذكره و يحثهم على ذلك،

و يرغبهم في سؤاله و دعائه، آناء الليل و النهار،

كما أن نعمه تتكرر عليهم في جميع الأوقات.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾

أي: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ)

اذكر إبراهيم عليه السلام في هذه الحالة الجميلة،

(وَإِذْ قَالَ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ)

أي: الحرم

(ءَامِنًا)

فاستجاب الله دعاءه شرعا و قدرا،

فحرمه الله في الشرع و يسر من أسباب حرمته قدرا ما هو معلوم،

حتى إنه لم يرده ظالم بسوء إلا قصمه الله كما فعل بأصحاب الفيل و غيرهم.

***وَ قَدِ اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ، فَقَالَ تَعَالَى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ} [الْعَنْكَبُوتِ: 67]

و لما دعا له بالأمن دعا له و لبنيه بالأمن فقال:

(وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ)

أي: اجعلني و إياهم جانبا بعيدا عن عبادتها و الإلمام بها،

***يَنْبَغِي لِكُلِّ دَاعٍ أَنْ يَدْعُوَ لِنَفْسِهِ وَ لِوَالِدَيْهِ وَ لِذُرِّيَّتِهِ.

ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ افْتَتَنَ بِالْأَصْنَامِ خَلَائِقُ مِنَ النَّاسِ وَ أَنَّهُ بَرِيءٌ مِمَّنْ عَبَدَهَا،
وَ رَدَّ أَمْرَهُمْ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ

كَمَا قَالَ عِيسَى عليه السلام:{إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الْمَائِدَةِ: 118]

وَ لَيْسَ فِي هَذَا أَكْثَرُ مِنَ الرَّدِّ إِلَى مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى،

لَا تَجْوِيزُ وُقُوعِ ذَلِكَ.

ثم ذكر الموجب لخوفه عليه و على بنيه بكثرة من افتتن و ابتلي بعبادتها فقال:

رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ



(رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ)

ضلوا بسببها،

*** صحيح مسلم

(202) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ:

تَلَا قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ: {رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي} [إبراهيم: 36] الْآيَةَ،

وَ قَالَ عليه السلام: {إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [المائدة: 118]

فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَ قَالَ: «اللهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي»،

وَ بَكَى، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:

«يَا جِبْرِيلُ عليه السلام اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَ رَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ؟»

فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا قَالَ، وَ هُوَ أَعْلَمُ،
فَقَالَ اللهُ: " يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ،
فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَ لَا نَسُوءُكَ ( )

(فَمَن تَبِعَنِى)

على ما جئت به من التوحيد و الإخلاص لله رب العالمين

(فَإِنَّهُۥ مِنِّى)

لتمام الموافقة و من أحب قوما و تبعهم التحق بهم.

(وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)

و هذا من شفقة الخليل عليه السلام حيث دعا للعاصين بالمغفرة و الرحمة من الله
و الله تبارك وتعالى أرحم منه بعباده لا يعذب إلا من تمرد عليه.

رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾

و ذلك أنه أتى بـ « هاجر » أم إسماعيل و بابنها إسماعيل عليه السلام
و هو في الرضاع، من الشام حتى وضعهما في مكة
و هي – إذ ذاك– ليس فيها سكن، و لا داع و لا مجيب،

(وقال عيسى) قال القاضي عياض قال بعضهم قال هو اسم للقول لا فعل يقال قال قولا وقالا وقيلا كأنه قال وتلا قول عيسى (إنا سنرضيك) هذا موافق لقول الله عز وجل ولسوف يعطيك ربك فترضى]

فلما وضعهما دعا ربه بهذا الدعاء

فقال – متضرعا متوكلا على ربه: (رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي)

أي: لا كل ذريتي لأن إسحاق في الشام و باقي بنيه كذلك

و إنما أسكن في مكة إسماعيل و ذريته،

و قوله: (بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ)

أي: لأن أرض مكة لا تصلح للزراعة.

(رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ)

أي: اجعلهم موحدين مقيمين الصلاة

لأن إقامة الصلاة من أخص و أفضل العبادات الدينية

فمن أقامها كان مقيما لدينه

(فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ)

*****لَوْ قَالَ: "أَفْئِدَةَ النَّاسِ" لَازْدَحَمَ عَلَيْهِ فَارِسُ وَالرُّومُ وَ الْيَهُودُ وَ النَّصَارَى وَ النَّاسُ كُلُّهُمْ،**

وَ لَكِنْ قَالَ: {مِنَ النَّاسِ} فَاخْتَصَّ بِهِ الْمُسْلِمُونَ.

(تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ)

أي: تحبهم و تحب الموضع الذي هم ساكنون فيه.

فأجاب الله دعاءه فأخرج من ذرية إسماعيل محمدا ﷺ

حتى دعا ذريته إلى الدين الإسلامي

و إلى ملة أبيهم إبراهيم فاستجابوا له و صاروا مقيمي الصلاة.

و افترض الله حج هذا البيت الذي أسكن به ذرية إبراهيم

و جعل فيه سرا عجيبا جاذبا للقلوب،

فهي تحجه و لا تقضي منه وطرا على الدوام،

بل كلما أكثر العبد التردد إليه ازداد شوقه و عظم ولعه و توقه

و هذا سر إضافته تعالى إلى نفسه المقدسة.

(وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ)

فأجاب الله دعاءه، فصار يجبي إليه ثمرات كل شيء،

فإنك ترى مكة المشرفة كل وقت و الثمار فيها متوفرة

و الأرزاق تتوالى إليها من كل جانب.

رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ

فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾

أي: أنت أعلم بنا منا،فنسألك من تدبيرك و تربيتك لنا أن تيسر لنا من الأمور

التي نعلمها و التي لا نعلمها ما هو مقتضى علمك و رحمتك

(وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ)

و من ذلك هذا الدعاء الذي لم يقصد به الخليل إلا الخير

و كثرة الشكر لله رب العالمين.

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾

(ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ)

فهبتهم من أكبر النعم،

و كونهم على الكبر في حال الإياس من الأولاد نعمة أخرى،

و كونهم أنبياء صالحين أجل و أفضل،

(إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ)

أي: لقريب الإجابة ممن دعاه و قد دعوته فلم يخيب رجائي،

ثم دعا لنفسه و لذريته، فقال:

رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾

رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴿٤١﴾

فاستجاب الله له في ذلك كله إلا أن دعاءه لأبيه

إنما كان عن موعدة وعده إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه

ثم قال تعالى

وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ

إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٤٢﴾

هذا وعيد شديد للظالمين، و تسلية للمظلومين،

يقول تعالى: (وَلَا تَحۡسَبَنَّ)

***يا محمد

(وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ)

حيث أمهلهم و أدرَّ عليهم الأرزاق،

و تركهم يتقلبون في البلاد آمنين مطمئنين،

فليس في هذا ما يدل على حسن حالهم

فإن الله يملي للظالم و يمهله ليزداد إثما،

حتى إذا أخذه لم يفلته

(وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ)

و الظلم – هاهنا– يشمل الظلم فيما بين العبد و ربه و ظلمه لعباد الله.

(إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ)

أي: لا تطرف من شدة ما ترى من الأهوال و ما أزعجها من القلاقل.

مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ
يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ
ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمۡ
فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ وَضَرَبۡنَا
لَكُمُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ
مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ
عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ﴿٤٧﴾ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ
ٱلۡقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن
قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجۡزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ
ٱلۡحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ
وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾

مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ﴿٤٣﴾

(مُهۡطِعِينَ)

أي: مسرعين إلى إجابة الداعي حين يدعوهم إلى الحضور بين يدي الله للحساب لا امتناع لهم و لا محيص و لا ملجأ،

*** كَمَا قَالَ تَعَالَى:{مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ}
[الْقَمَرِ: 8]
وَ قَالَ تَعَالَى: {يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلا هَمْسًا} إِلَى قَوْلِهِ:
{وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا} [طَهَ: 198 -111]
وَقَالَ تَعَالَى: {يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ}
[الْمَعَارِجِ: 43] .

(مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ)

أي: رافعيها قد غُلَّتْ أيديهم إلى الأذقان، فارتفعت لذلك رءوسهم،

(لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ)

*** بَلْ أَبْصَارُهُمْ طَائِرَةٌ شَاخِصَةٌ،
يُدِيمُونَ النَّظَرَ لَا يَطْرِفُونَ لَحْظَةً لِكَثْرَةِ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْهَوْلِ وَ الْفِكْرَةِ وَ الْمَخَافَةِ لِمَا يَحِلُّ بِهِمْ، عِيَاذًا بِاللَّهِ الْعَظِيمِ مِنْ ذَلِكَ؛ وَ لِهَذَا قَالَ:

(وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ)

أي: أفئدتهم فارغة من قلوبهم قد صعدت إلى الحناجر

لكنها مملوءة من كل هم و غم و حزن و قلق

وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن

زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾

يقول تعالى لنبيه محمدﷺ: (وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ)

أي: صف لهم صفة تلك الحال و حذرهم من الأعمال الموجبة للعذاب الذي حين يأتي في شدائده و قلاقله،

(فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟)

بالكفر و التكذيب و أنواع المعاصي نادمين على ما فعلوا سائلين للرجعة في غير وقتها

(رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ)

أي: ردَّنا إلى الدنيا فإنا قد أبصرنا،

***كَمَا قَالَ تَعَالَى: {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} [الْمُؤْمِنُونَ: 99، 100]

وَ قَالَ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ

أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ} [الْمُنَافِقُونَ: 9، 10]

وَ قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْهُمْ فِي حَالِ مَحْشَرِهِمْ: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ} [السَّجْدَةِ: 12]

وَ قَالَ تَعَالَى: {وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [الْأَنْعَامِ: 27، 28]

وَقَالَ تَعَالَى: {وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ} [فَاطِرٍ: 37] .

(نُّجِبْ دَعْوَتَكَ)

و الله يدعو إلى دار السلام

(وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ)

و هذا كله لأجل التخلص من العذاب

و إلا فهم كذبة في هذا الوعد

{ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [الأنعام: 28]

و لهذا يوبخون و يقال لهم:

(أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ)
عن الدنيا و انتقال إلى الآخرة،
فها قد تبين حنثكم في إقسامكم، و كذبكم فيما تدعون،
***كَمَا أَخْبَرَ عَنْهُمْ تَعَالَى:{وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا} [النَّحْلِ: 38] .
(وَ) ليس عملكم قاصر في الدنيا من أجل الآيات البينات، بـــــل
(وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ)
من أنواع العقوبات؟
و كيف أحل الله بهم العقوبات، حين كذبوا بالآيات البينات،
***قَدْ رَأَيْتُمْ وَبَلَغَكُمْ مَا أَحْلَلْنَا بِالْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ قَبْلَكُمْ،
وَ مَعَ هَذَا لَمْ يَكُنْ لَكُمْ فِيهِمْ مُعْتَبَرٌ،
وَ لَمْ يَكُنْ فِيمَا أَوْقَعْنَا بِهِمْ مُزْدَجَرٌ لَكُمْ
{حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ} [الْقَمَرِ: 5] .
(وَضَرَبۡنَا لَكُمُ ٱلۡأَمۡثَالَ)
الواضحة التي لا تدع أدنى شك في القلب إلا أزالته،
فلم تنفع فيكم تلك الآيات
بل أعرضتم و دمتم على باطلكم حتى صار ما صار،

و وصلتم إلى هذا اليوم الذي لا ينفع فيه اعتذار من اعتذر بباطل.

(وَقَدْ مَكَرُوا)

أي: المكذبون للرسل

(مَكْرَهُمْ)

الذي وصلت إرادتهم و قدر لهم عليه،

***الميسر:و قد دبّر المشركون الشرّ للرسول ﷺ بقتله،**

(وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ)

أي: هو محيط به علما و قدرة فإنه عاد مكرهم عليهم

{ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ} [فاطر: 43]

(وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ)

أي: و لقد كان مكر الكفار المكذبين للرسل بالحق

و بمن جاء به – من عظمه– لتزول الجبال الراسيات بسببه عن أماكنها،

أي: (مَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا)

لا يقادر قدره و لكن الله رد كيدهم في نحورهم.

و يدخل في هذا كل من مكر من المخالفين للرسل لينصر باطلا أو يبطل حقا،

و القصد أن مكرهم لم يغن عنهم شيئا،

و لم يضروا الله شيئا و إنما ضروا أنفسهم.

***الميسر:و ما كان مكرهم لتزول منه الجبال ولا غيرها لضعفه**

و وَهَنه،

***وَ رَوَى الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ:

{وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ}

يَقُولُ: مَا كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ.

وَ وَجَّهَهُ ابْنُ جَرِيرٍ بِأَنَّ هَذَا الَّذِي فَعَلُوهُ بِأَنْفُسِهِمْ مِنْ كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ وَ شِرْكِهِمْ بِهِ، مَا ضَرَّ ذَلِكَ شَيْئًا مِنَ الْجِبَالِ وَ لَا غَيْرِهَا،

وَ إِنَّمَا عَادَ وَبَالُ ذَلِكَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ.

قُلْتُ: وَ يُشْبِهُ هَذَا إِذًا قَوْلَهُ تَعَالَى: {وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولا} [الْإِسْرَاءِ: 37] .

<u>وَ الْقَوْلُ الثَّانِي فِي تَفْسِيرِهَا:</u>

*** عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: {وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ}

يَقُولُ شِرْكُهُمْ،

كَقَوْلِهِ: {تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا} [مَرْيَمَ: 90 -91]

فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٖ مَّا كَسَبَتْۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ

وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾

يقول تعالى: (فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ)

بنجاتهم و نجاة أتباعهم و سعادتهم و إهلاك أعدائهم و خذلانهم في الدنيا و عقابهم في الآخرة،

فهذا لا بد من وقوعه لأنه، وعد به الصادق قولا على ألسنة أصدق خلقه و هم الرسل، و هذا أعلى ما يكون من الأخبار،

خصوصا و هو مطابق للحكمة الإلهية، و السنن الربانية، و للعقول الصحيحة،

و الله تعالى لا يعجزه شيء فإنه (إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ)

أي: إذا أراد أن ينتقم من أحد، فإنه لا يفوته و لا يعجزه،

و ذلك في يوم القيامة، (يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ)

تبدل غير السماوات، و هذا التبديل تبديل صفات، لا تبديل ذات،

فإن الأرض يوم القيامة تسوى و تمد كمد الأديم

و يلقى ما على ظهرها من جبل و مَعْلم،

فتصير قاعا صفصفا، لا ترى فيها عوجا و لا أمتا،

و تكون السماء كالمهل، من شدة أهوال ذلك اليوم

ثم يطويها الله – تعالى– بيمينه.

*** صحيح البخاري

6521 - عن سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:

«يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ، كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ»
قَالَ سَهْلٌ أَوْ غَيْرُهُ: «لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ»( )

***صحيح مسلم

(2791) عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺعَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ:
{يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ} [إبراهيم: 48]
فَأَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟
فَقَالَ: «عَلَى الصِّرَاطِ»

***مسند أحمد ط الرسالة

24856-عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَتَدْرِي مَا سِعَةُ جَهَنَّمَ؟
قُلْتُ: لَا، قَالَ: أَجَلْ، وَ اللهِ مَا تَدْرِي،
إِنَّ بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِ أَحَدِهِمْ وَ بَيْنَ عَاتِقِهِ مَسِيرَةَ سَبْعِينَ خَرِيفًا،
تَجْرِي فِيهَا أَوْدِيَةُ الْقَيْحِ وَ الدَّمِ،
قُلْتُ: أَنْهَارًا؟
قَالَ: لَا، بَلْ أَوْدِيَةً،
ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا سِعَةُ جَهَنَّمَ؟
قُلْتُ: لَا، قَالَ: أَجَلْ، وَاللهِ مَا نَدْرِي،
حَدَّثَتْنِي عَائِشَةُ أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺعَنْ قَوْلِهِ:
{وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ} [الزمر: 67]
فَأَيْنَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟
قَالَ: " هُمْ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ "

(عفراء) بيضاء مشوبة بحمرة. (كقرصة نقي) كرغيف مصنوع من دقيق خالص من الغش والنخالة. (معلم) علامة يستدل بها أي مستوية لا حدب فيها ولا بناء عليها ولا شيء سواه]

***صحيح مسلم

(315) عن ثَوْبَان مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺحَدَّثَهُ قَالَ:

كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺفَجَاءَ حِبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ

فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ فَدَفَعْتُهُ دَفْعَةً كَادَ يُصْرَعُ مِنْهَا

فَقَالَ: لِمَ تَدْفَعُنِي؟

فَقُلْتُ: أَلَا تَقُولُ يَا رَسُولَ اللهِ،

فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: إِنَّمَا نَدْعُوهُ بِاسْمِهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ أَهْلُهُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اسْمِي مُحَمَّدٌ الَّذِي سَمَّانِي بِهِ أَهْلِي»

فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ،

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيَنْفَعُكَ شَيْءٌ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟»

قَالَ: أَسْمَعُ بِأُذُنَيَّ، فَنَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺبِعُودٍ مَعَهُ،

فَقَالَ: «سَلْ» فَقَالَ الْيَهُودِيُّ:

أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَ السَّمَاوَاتُ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ»

(وَبَرَزُواْ)

أي: الخلائق من قبورهم إلى يوم بعثهم،و نشورهم في محل لا يخفى منهم على الله شيء،

(لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ)

أي: المتفرد بعظمته و أسمائه و صفاته و أفعاله العظيمة،و قهره لكل العوالم فكلها تحت تصرفه و تدبيره،

فلا يتحرك منها متحرك، و لا يسكن ساكن إلا بإذنه.

(وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ)

أي: الذين وصفهم الإجرام و كثرة الذنوب،

(يَوۡمَئِذٖ) في ذلك اليوم

(مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ)

أي: يسلسل كل أهل عمل من المجرمين بسلاسل من نار

فيقادون إلى العذاب في أذل صورة و أشنعها و أبشعها.

*** بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، قَدْ جُمِعَ بَيْنَ النُّظَرَاءِ أَوِ الْأَشْكَالِ مِنْهُمْ، كُلِّ صِنْفٍ إِلَى صِنْفٍ،

كَمَا قَالَ تَعَالَى:{احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ} [الصَّافَّاتِ: 22] ،

وَ قَالَ:{وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ} [التَّكْوِيرِ: 7] ،

وَ قَالَ:{وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا} [الْفُرْقَانِ: 13]

وَ قَالَ:{وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ}

[ص: 37، 38] .

(سَرَابِيلُهُم)

أي: ثيابهم

(مِّن قَطِرَانٖ)

و ذلك لشدة اشتعال النار فيهم و حرارتها و نتن ريحها،

***وَ هُوَ الَّذِي تُهنأ بِهِ الْإِبِلُ، أَيْ: تُطْلَى، وَ هُوَ أَلْصَقُ شَيْءٍ بِالنَّارِ.

(وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ)

التي هي أشرف ما في أبدانهم

(ٱلنَّارُ)

أي: تحيط بها و تصلاها من كل جانب،

و غير الوجوه من باب أولى و أحرى،

و ليس هذا ظلما من الله لهم

و إنما هو جزاء لما قدموا و كسبوا،

*** قَوْلِهِ: {تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ} [الْمُؤْمِنُونَ: 104]

صحيح مسلم

(934) عن أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيَّ، حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ:

أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ:

1-الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ،

2-وَ الطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ،

3-وَ الْاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ،

4-وَ النِّيَاحَةُ "

وَ قَالَ: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ عَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَ دِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ»( )

(أربع) أي خصال أربع كائنة في أمتي من أمور الجاهلية (لا يتركونهن) أي كل الترك إن تتركه طائفة يفعله آخرون (والاستسقاء بالنجوكم) يعني اعتقادهم نزول المطر بسقوط نجم في المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله من المشرق كما كانوا يقولون مطرنا بنوء كذا (ودرع من

13-م20-ص261

و لهذا قال تعالى: (لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ)

من خير و شر بالعدل و القسط الذي لا جور فيه بوجه من الوجوه.

*** كَمَا قَالَ: {لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى}

[النَّجْمِ: 31]

(إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ)

1-كقوله تعالى:(اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ)

[الانبياء :1]

2-و يحتمل أن معناه: سريع المحاسبة فيحاسب الخلق في ساعة واحدة،

كما يرزقهم و يدبرهم بأنواع التدابير في لحظة واحدة

لا يشغله شأن عن شأن و ليس ذلك بعسير عليه.

***وَ إِنَّ جَمِيعَ الْخَلْقِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى قُدْرَتِهِ كَالْوَاحِدِ مِنْهُمْ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى:

{مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ} [لُقْمَانَ: 28]

❍فلما بين البيان المبين في هذا القرآن قال في مدحه:

(هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ)

جرب) يعني يسلط على أعضائها الجرب والحكة بحيث يغطي بدنها تغطية الدرع وهو القميص]

أي: يتبلغون به و يتزودون إلى الوصول إلى أعلى المقامات و أفضل الكرامات، لما اشتمل عليه من الأصول و الفروع، و جميع العلوم التي يحتاجها العباد.

***** كَقَوْلِهِ: {لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ} [الْأَنْعَامِ: 19]**

(وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ)

لما فيه من الترهيب من أعمال الشر و ما أعد الله لأهلها من العقاب،

***** لِيَتَّعِظُوا بِهِ،**

(وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ)

حيث صرف فيه من الأدلة و البراهين على ألوهيته و وحدانيته،

ما صار ذلك حق اليقين،

*****أَيْ: يَسْتَدِلُّوا بِمَا فِيهِ مِنَ الْحُجَجِ وَ الدَّلَالَاتِ عَلَى أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ**

(وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ)

أي: العقول الكاملة ما ينفعهم فيفعلونه، و ما يضرهم فيتركونه،

و بذلك صاروا أولي الألباب و البصائر.

إذ بالقرآن ازدادت معارفهم و آراؤهم،

و تنورت أفكارهم لما أخذوه غضًّا طريًّا

فإنه لا يدعو إلا إلى أعلى الأخلاق و الأعمال و أفضلها،

و لا يستدل على ذلك إلا بأقوى الأدلة و أبينها.

و هذه القاعدة إذا تدرب بها العبد الذكي لم يزل في صعود و رقي على الدوام في كل خصلة حميدة.

و الحمد لله رب العالمين.

تم تفسير سورة إبراهيم الخليل عليه السلام